تنـــزيه أسباب النـــزول عن الشنيع المرذول

إعداد

محمد نشأت محمد أحمد محمد

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي تقدست عن الأشياء ذاته ، وتنـــزهت عن سمات الحدوث صفاته ، ودلت على وجوده وقدمه مخلوقاته ، وأقرت بالافتقار إليه بَرِياتهُ ، سبحانه وتعالى من إله تحـــيرت العقول في بديع حكمته ، يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويوصـــل ويقطـــع ، والـــصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه على وحيه وشهيده علـــى أمره ونهيه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وأصهاره وأحبائه ، وأنصاره وأحزابه ما دامت آلاء الله تعالى وأرضه وسماواته ، وما انقشعت بنور رسالاته غياهب الشرك وظلماته وانمحت آفاته .

أما بعد ....

فسيظل القرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب أمام الباحثين فى كل عصر ومصر ، يلفت أنظارهم إلى ساحة كتاب الكون الواسع الفسيح ليستخرجوا منه – بعد التدبر وإعمـــال الفكر والعقل – ما يرشد الناس إلى حقيقة الكون ، ومصير الإنسان ومآله ، وكيف تسير الحياة وفق منهج رباني وضعه رب القوى والقدر ، فله الخلق والأمر .

إن القرآن الكريم منذ نزوله قد فجر تلك الطاقات الكامنة في النفس البـــشرية ، فاتجه إليه العلماء يستمدون منه الأدلة والحجج ، فترى كل ذي فن منه يستمد ، وعليـــه يعتمد ، فالفقيه يستمد منه الأدلة الشرعية ، والنحوي يستمد منه الشواهد القرآنية علـــى القواعد النحوية ، ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول من صوابه ، والبياني يهتدى بـــه إلى حسن النظم ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام ، وقس على ذلك باقي العلوم وسائر الفنون .

ولقد قيض الله تعالى لهذه الأمة علماء ممن ألقى الله تعالى فى قلوبهم حب القـــرآن الكريم وعلومه ، وألهمهم فهم تأويله ، فاشتغلوا بالكشف عن معانى كلام الله تعالى وتفسير ذلك ، وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه ، فشرفوا بعلمهم هذا ، وكيف لا ؟ وهـــم أرباب أعظم العلوم قدراً وأرفعها شرفاً ألا هو علم الشريعة الغراء الذى هو رئيس العلوم ورأسها ، ومبنى قواعده وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه إلا مـــن بـــرع فى العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها ، وقال في الصناعات العربيـــة ، والفنـــون الأدبيـــة

بأنواعها ، وعلماؤه هم حملة سر الله المكنون ، وحفظة علمه المكنون ، وخلفاء أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وهم أهله ، وخاصته ، وخيرته ، وأمناؤه وأصفياؤه .

ولقد حرص الباحثون الكرام أن يكتبوا ما تناهت إليهم به الأحداث والوقائع والحقائق ، وتعددت مناحيهم ، وتباينت فى ذلك مذاهبهم ومشاربهم ، وكانت تصانيفهم مصابيح هدى ، ونورا لمن جاء بعدهم .

ومن يمن الطالع أن تشرف كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين فرع جامعة الأزهر بقنا ، أن تقدم للقارئ الكريم حوليتها الجديدة ، وأن تضع بين يديه كل نافع ومفيد من ثمار الجهود الجادة للسادة الأماجد أعضاء هيئة التدريس .

نقدم فيها أبحاثاً محكمة منتقاة ، تحمل فى طياتها باكورة من الأبحاث الممتعة المقنعة الغنية الثرية بطيب الكلم ، وصامق المعانى ، وعميق المغزى ، قام بالتحكيم فيها أساتذة أجلاء علماء نحسبهم على قدر من العلم والمعرفة يتيح لهم الحكم بحياد وتجرد ، وتطلع إلى إبراز الحقيقة وحدها ليس إلا .

حيث ألقوا عليها النظرات بإمعان ، وطالعوها بصبر وإتقان ، ليعظم بذلك شأن الحولية ويزدان .

وعلى هذا الأساس السليم فإن الكلية لم تألُ جهداً فى حرصها على انتقاء البحوث الجادة الهادفة للعلم والمعرفة في مجالات التخصص المتنوعة ، والتي ازدهرت بها الحولية ؛ التى انتظمت بين صفحاتها ألواناً مختلفة من علوم أصول الدين ، والشريعة الغراء ، ولغة العرب الفصيحة المليحة ، أبانت عن صورة الإسلام المشرقة ، وأصوله المشرفة دون شطط فى الرأى مرذول أو انغلاق فى الفكر مرفوض ، أو تعصب مذهبى ممقوت .

والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل إنه تعالى سميع قريب مجيب ، وهو المستعان وعليه التكلان ، وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

{ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين } يونس (١٠)

أ.د / أحمد سعد محمد الخطيب

عميد الكلية ورئيس التحرير

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونؤمن به ونستغفره ، ونسأله التوفيق والسداد ، والهدي والرشاد ، وأصلي وأسلم علي رسول الإنسانية ومنقذ البشرية سيدنا محمد – صلي الله عليه وسلم – وعلي آله وصحبه ومن اتبع طريقه ونهجه .

وبعد :

فإن أسباب النزول تعرض لما تعرض له التفسير والحديث من دس ووضع ، وزاحم فيه الدخيل الأصيل ، وعبثت به آيادى آثمة ، فاختلط الغث بالسمين ، والصحيح بالسقيم ، فظهرت فيه روايات واهية السند ، منكرة المتن ، يقشعر منها جلد طالب العلم لما اشتملت عليه من أوهام وترهات ، وخرافات ومنكرات ، تخالف الأصول وتناطح العقول وتباين صحيح النقول ، ورغم ما اشتملت عليه هذه الروايات من بشاعة وشناعة ، إلا أنها وجدت طريقها إلى كتب التفسير خاصة وكتب العلم عامة ، لا سيما ما ألف منها فى أسباب النزول ، وأصبحت تسير جنباً إلى جنب مع الروايات الصحيحة ، وربما كادت تطغى عليها لما فيها من غرائب وعجائب ، تهواها النفوس ، وتميل إليها الطباع ، و لما فيها من تشويش على الدين ، جعل أعداء الإسلام يهتفون لها ويتزيدون فيها ، راجت سوقها ، وكثر طالبوها ، رغم ضعفها ونكارتها.

لكل ساقطة فى الحى لاقطة ... وكل كاسدة يوماً لها سوق

بلغت هذه الروايات من الشهرة أن عجت بها الكتب ، وسار بذكرها الخطباء ، وتلقفتها أيدى المستشرقين والمبشرين بالترحيب والتأييد ، يشنعون بها على الإسلام وكتاب الإسلام.

ولقد ظهرت هذه الروايات المكذوبة فى أسباب النزول مبكراً ونقلها الكثير مع غض الطرف عن التنبيه على وهنها وضعفها ، مما عد تساهلاً من أصحاب هذه الكتب ، حدا بالبعض أن يلتمس لهم المعاذير.

أخذت هذه المرويات حقها من السرد والعرض ، ولم تأخذ حقها من التمحيص والنقد ، وبيان ما يجب أن يحظى بالقبول ويقابل بالرد ، وانطلقت حناجر العلماء ، تبح بما فى هذه الروايات من تساهل وإعواز.

قال عبيدة السلماني[١] لما سئل عن آية من القرآن : (اتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن). [٢] قال الواحدى بعد ذكر هذا القول : "أما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق إفكاً وكذباً ملقياً زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية ، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب لينتهي إليه طالبوا هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب". [٣]

والواحدى الذى اتهم غيره بالتقصير والاختلاق لم يسلم كتابه من النقول الضعيفة والموضوعة حتى قال فيه أبو حيان:

وَقَدْ صَنَّفَ الْوَاحِدِيُّ فِي ذَلِكَ كِتَابًا قَلَّمَا يَصِحُّ فِيهِ شَيْءٌ ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُشْتَغَلَ بِنَقْلِ ذَلِكَ إِلَّا مَا صَحَّ. [٤]

وينتقد الإمام السيوطى –رحمه الله– كتب من سبقوه فى هذا الفن انتقاداً شديد اللهجة ، ويرميها بالتقصير ، فبعد أن ذكر الذين أفردوا هذا العلم بالتصنيف ، ما لبث أن عرض بما في كتاب "الواحدي" من "إعواز" ، ثم عرض باختصار الجعبري لهذا الكتاب و"حذفه أسانيده من غير أن يزيد عليه شيئا" ، وأخبر بعد ذلك بأن شيخ الإسلام أبا الفضل بن حجر ألف في

---

(١) عبيدة ابن عمرو السلماني بسكون اللام ويقال بفتحها المرادي أبو عمرو الكوفي تابعي كبير [من الثانية] مخضرم فقيه ثبت كان شريح إذا أشكل عليه شيء يسأله مات سنة اثنتين وسبعين أو بعدها والصحيح أنه مات قبل سنة سبعين. : [ينظر: تقريب التهذيب (ص: ٣٧٩)]

(٢) ينظر– تكرماً: أسباب النزول للواحدى (ص: ٩)

(٣) ينظر– تكرماً: أسباب النزول للواحدى (ص: ٩)

(٤) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٧٦)

أسباب النزول " كتابا مات عنه مسودة ، فلم يتيسر للسيوطي أن يقف عليه كاملا " ومع أن عبارته تشي بأنه وقف على شيء منه أو على المسودة كلها التي مات أبو الفضل عنها لم يشر قط إلى إعجابه بصنيعه ورضاه عنه ، بل أوشك أن يكون إلى نقده أقرب ، حين جعل صنيعه وصنائع السابقين كلهم في كفة ، وصنيعه هو – أعني السيوطي– في كفة أخرى في " كتابه الحافل الموجز المحرر– على حد وصفه– الذي لم يؤلف مثله في هذا النوع" ، وهو المسمى " لباب النقول، في أسباب النزول! " [١]

يقول الدكتور صبحي– الصالح تعليقاً على كلام السيوطى : وربما لم يكن لافتخار السيوطي بكتابه كبير قيمة في نظرنا ، فقد ألفنا في الأعصر المتأخرة هذه النغمة ، نغمة المزهو الفخور تتردد في مواطن شتى من كتب أولئك العلماء الجماعين وألفنا بصورة خاصة هذه النغمة غير المحببة في كتب السيوطي نفسه ، رحمه الله وغفر له ، ولكن يعنينا من لهجة الفخر هذه ما توحي به من إعواز الكتب القديمة حقاً ، فلولا نقص فيها حال دون وفائها بهذا العلم العظيم لما آنس السيوطي وغيره جراءة على رميها بالضعف والإعواز. [٢]

ورغم نقد السيوطى – رحمه الله – لمن سبقوه وقع فيما وقع فيه غيره ، فأخذ عليه – رحمه الله– " تصحيحه لبعض الأحاديث الضعيفة ". [٣]

ونظراً لما وقفت عليه من مرويات فى أسباب النزول ، ضعيفة السند ركيكة المتن ، أقرب إلى الإسفاف ، من أن تكون سبباً للنزول ، كتبت هذا البحث المتواضع ذكرت فيه ما تيسر لى جمعه وتفنيده من روايات واهية شنيعة ، آملا أن أكون قد ضربت فى هذا الفن الشريف بسهم ، وأدليت فيه بدلوٍ ، راجياً من الله تعالى العون والتوفيق والسداد ، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

---

(١) ينظر: تكرماً: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٧)

(٢) مباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح (ص: ١٣٧)

(٣) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (١/ ٩)

خطة البحث:

وقد جاء هذا البحث فى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة ، فبعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– ذكرت فيها سبب اختيارى لهذ الموضوع وخطتى فيه.

وأما المبحث الأول فهو بعنوان: (مسائل تتعلق بأسباب النزول) ألقيت فيه الضوء على بعض المسائل التى تتعلق بأسباب النزول ولها ارتباط وثيق بالبحث وقد جاء هذا المبحث فى خمسة مسائل ، وهى:

المسألة الأولى : معنى سبب النزول.

المسألة الثانية: أقسام القرآن من حيث سبب النزول وعدمه.

المسألة الثالثة: طرق معرفة أسباب النزول.

المسألة الرابعة: فوائد معرفة أسباب النزول.

المسألة الخامسة: خطورة الوضع والدس فى أسباب النزول.

وأما المبحث الثانى ، فهو بعنوان: (الشنيع المرذول فى أسباب النزول.)

وقد جاء هذا المبحث فى ثمانية مطالب ، وهى:

المطلب الأول : سبب نزول عليه أثر التشيع.

المطلب الثانى : سبب نزول يقدح فى أحد الصحابة.

المطلب الثالث : سبب نزول يقدح فى أصالة القرآن.

المطلب الرابع : سبب نزول يقدح فى بعض الصحابة.

المطلب الخامس : سبب نزول يقدح فى عصمة النبى – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–.

المطلب السادس : سبب نزول تسلل عن طريق الشيعة.

المطلب السابع : الجرو يعطل الوحى ويحزن النبى – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم –.

المطلب الثامن : سبب نزول عليه أثر العصبية السياسية.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم التوصيات والنتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وأسأل الله تعالى العفو والرضى والتوفيق وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم ، وأتوجه إليه بهذا الدعاء المبارك : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]

المبحث الأول
مسائل تتعلق بأسباب النزول

المسألة الأولى : معنى سبب النزول:

سبب النزول : هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدِّثَةً عنه أو مبيِّنَةً لحكمه أيام وقوعه.[١]

وبيان ذلك أن الآية أو الآيات قد تنزل مثلًا لتفصل بين متخاصمين وقع بينهما شجار ، أو تكشف عن مكيدة صنعها بعض المنافقين ، أو تتحدَّث عن مقولة قالها أحد المشركين ، أو ترفع شبهة أدلى بها أحد المغرضين ، أو تزيل ريبًا وقع فيه بعض المؤمنين ، أو تَبُتُّ في شكوى توجَّه بها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعض المظلومين ، أو تجيب عن سؤال ، أو تمنٍّ صدر عن واحد أو أكثر من المسلمين أو المشركين ، ونحو ذلك .

والمراد بقولنا: "أيام وقوعه" أن الحادثة أو السؤال لا يصلح كلٌّ منهما سببًا للنزول إلّا إذا نزلت الآية أيام وقوعه ، أو بعده بقليل ، فهو قيد في التعريف لا بُدَّ منه للاحتراز عن الآية أو الآيات التي تنزل ابتداء من غير سبب ، والتي تتحدَّث عن حوادث ماضية سبقت نزول الآية بزمن بعيد؛ لأن البيان لا يتأخَّر عن وقت الحاجة -كما يقول علماء الأصول- واحترازًا عن الآية أو الآيات التي تتحدَّث عن حوادث مستقبلة تقع بعد نزولها.[٢]

المسألة الثانية: أقسام القرآن من حيث سبب النزول وعدمه.

أكثر القرآن نزل ابتداء من غير سبب.

قَالَ الْجَعْبَرِيُّ[٣] : نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ نَزَلَ ابْتِدَاءً وَقِسْمٌ نَزَلَ عَقِبَ وَاقِعَةٍ أَوْ سُؤَالٍ.[٤]

---

(١) مناهل العرفان ١٠٦/١

(٢) دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل (ص: ١٥٣).

(٣) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق، عالم بالقرآن، من فقهاء الشافعية.ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بالس والرقة) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات. يقال له (شيخ الخليل) وقد يعرف بابن السراج، وكنيته في بغداد (تقيّ الدين) وفي غيرها (برهان الدين) توفى سنة ٧٣٢هـ [ينظر الأعلام للزركلى ٥٥/١]

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٧)

ونلاحظ أن أكثر القرآن من النوع الذى نزل ابتداءً من غير سبب ، فالآيات التى ذكر لها السادة العلماء من المفسرين ، وممن ألف فى أسباب النزول ، سبباً للنزول نجدها أقل بكثير من الآيات التى لم يذكروا لها سبباً ، فكيف إذا غربلت هذه الروايات ومحصت وميز الصحيح من الضعيف ، نجدها أقل من القليل.

والقول بأن القسم الابتدائى نزل بغير سبب لا يعنى أنه نزل بغير داع أو حكمة ، فكل القرآن لا ينفك عن داع وحكمة أقتضت نزوله ، من إرشاد الضالين وهداية الخلق إلى رب العالمين وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى.

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل : (.... القرآن الكريم نزل منجَّمًا على الرسول –صلى الله عليه وسلم– في نحو ثلاث وعشرين سنة ، نزلت كل آية منه لحكمة وغاية ، جماع هذه الحكم والغايات تشريع ما فيه سعادة الإنسان في دنياه وأخراه ، ويمكن اعتبار ذلك سببًا عامًّا لنزول كل آية من آيات القرآن، ولكن العلماء قصدوا إلى الأسباب الخاصة قصدًا أوليًّا بعد أن عرفوا هذا المقصد العام ، فتتبَّعوا ما نزل على سبب معين ، أو حادثة بخصوصها، أو نزل دفعًا لشبهة، أو إجابة عن سؤال ، ونحو ذلك ، ففسَّروا هذه الآيات وفقًا لأسباب نزولها أولًا ، ثم نظروا في شمول أحكامها لجميع المخاطبين ، وعدم شمولها.

ولا شكَّ أن تفسير الآية يرتبط بسبب نزولها ارتباطًا وثيقًا ، فعليه المعول في فهمها، ولا سيما إذا كانت لا تتناول بعمومها جميع المخاطَبين ، كما سيتبين لنا قريبًا.

وأكثر القرآن نزل ابتداء لإحقاق الحقِّ ، وإبطال الباطل، وهداية الخلق إلى الخالق –عز وجل.

وما نزل على أسباب خاصة ، وحوادث معينة قليل ، لكنه مع قلته تألَّف منه علم عظيم ، لا غنى عنه لمفسِّرٍ أو محدِّثٍ أو فقيه) .[1]

والواقع أن آيات القرآن تنقسم إلى طائفتين بالنظر لأسباب النزول ، فأما الطائفة منها– وهي التي تتعلق بالتشريع والأحكام والأخلاق– فمعظمها كان نزوله

---

(١) دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل (ص: ١٥١).

مرتبطا بأسباب ووقائع ، وأما الطائفة الأخرى- وهي التي تتحدث عن الأمم الغابرة وما حلّ بها أو عن وصف الجنة والنار والقيامة- ففيها الكثير مما نزل ابتداء بدون سبب أو واقعة معينة.(١)

المسألة الثالثة: طرق معرفة أسباب النزول:

يعتمد العلماء في معرفة أسباب النزول على صحَّة الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة ، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحًا لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع.

قال الواحدي في أوائل كتابه "أسباب النزول " لا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع مِمَّنْ شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها، وجدُّوا في الطلب".(٢)

وهذا هو نهج علماء السلف ، فقد كانوا يتورَّعُون عن أن يقولوا شيئًا في ذلك دون تثبت.

"قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: " اتق الله وقل سدادًا ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن"، وهو يعني الصحابة.(٣)

وإذا كان هذا هو قول "ابن سيرين" ، من أعلام علماء التابعين ، تحريًّا للرواية ، ودقةً في الفصل ، فإنه يدل على وجوب الوقوف عند أسباب النزول الصحيحة ، ولذا فإن المعتمد من ذلك فيما روي من أقوال الصحابة ما كانت صيغته ، جارية مجرى المسند ، بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها سبب النزول.

وذهب السيوطي إلى أن قول التابعين إذا كان صريحًا في سبب النزول فإنه يُقْبَل ، ويكون مرسلًا ، إذا صحَّ السند إليه ، وكان من أئمة التفسير الذين

---

(١) من روائع القرآن (ص: ٣٧).

(٢) أسباب النزول (ص: ٨)

(٣) المرجع السابق ص:٩

أخذوا عن الصحابة كمجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، واعتضد بمرسل آخر.[١]

المسألة الرابعة: فوائد معرفة أسباب النزول:

زعم البعض أنه لا فائدة كبيرة من معرفة أسباب النزول ولا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ .[٢] والفوائد التي ذكرها السادة العلماء تهتف بخطأ صاحب هذا القول فإن لمعرفة أسباب النزول فوائد جمة منها.

الفائدة الأولى: معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان خصوصاً إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهداً على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه.[٣]

الفائدة الثانية: معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية ودفع الإشكال عنها. قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.[٤]

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب . ا . هـ[٥] .

---

(١) ينظر : تكرماً: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٧)

(٢) ينظر: تكرماً: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢)

(٣) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٩)

(٤) أسباب النزول (ص: ٨)

(٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ١٦)

وقد أشكل معنى بعض الآيات على بعض الناس وخفى المراد منها لعدم علمهم بسبب النزول مثال ذلك:

روى أن مروان بن الحكم (١) توهم أن قوله تعالى: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [آل عمران:١٨٨] وعيد للمؤمنين ، فقال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون! فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه! إنما دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – يهود ، فسألهم عن شيء فتكموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] حتى قوله: ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾[آل عمران: ١٨٨] (٢) فلم يزل الإشكال إلا بمعرفة سبب النزول.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥].

إذ قد يفهم من الآية أن يتوجه المصلي في صلاته إلى أي جهة يشاء ، وأنه لا يجب عليه أن يولّي وجهه شطر المسجد الحرام ، ويستوي في ذلك المسافر والمقيم. ولكننا عند ما نعرف سبب النزول لهذه الآية يظهر لنا أنها تقتصر على أحوال معينة ، وليست حكما عاما يعفي من التوجّه إلى المسجد الحرام؛فقد روى الإمام الترمذى(٣)

---

(١) مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أمية بن شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ وَيُقَالُ أَبُو الْحَكَمِ، وَيُقَالُ أَبُو الْقَاسِمِ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ عِنْدَ طَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ ،مات بدمشق سنة خمس وستين. [ينظر: البداية والنهاية (٨/ ٢٨٢)]

(٢) رواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب وقال الشيخ الألباني : سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن باب باب ومن سورة آل عمران (٥/ ٢٣٣) برقم ٣٠١٤

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح / سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة ٥/ ٢٠٥ برقم ٢٩٥٨ و ينظر: لباب النقول (ص: ١٦)

عن ابن عمر – رضي الله عنهما– أنها نزلت في صلاة المسافر النفل على الراحلة أينما توجّهت.

وَحُكِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَعَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولَانِ: الْخَمْرُ مُبَاحَةٌ وَيَحْتَجَّانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الآية . [المائدة: ٩٣] وَلَوْ عَلِمَا سَبَبَ نُزُولِهَا لَمْ يَقُولَا ذَلِكَ وَهُوَ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ: كَيْفَ بِمَنْ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَاتُوا وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَهِيَ رِجْسٌ؟ فَنَزَلَتْ. (١)

الفائدة الثالثة: معرفة من نزلت فيه الآية بعينه حتى لا يبرأ المتهم ويرمى البرىء .

روى البخاري – رحمه الله تعالى– أن مروان بن الحكم كان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً فقال: خذوه ، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه ، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا ...﴾ [الأحقاف : ١٧] . فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. (٢)

ومثل ما إذا عرفنا سبب النزول في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاء مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧].

عرفنا أن صاحب الفضل هو سيدنا «صهيب بن سنان» الرومي– رضي الله عنه–. (٣)

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٨) وينظر : صحيح البخارى كتاب التفسير بَاب ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ١١/ ٢٣٨ حديث رقم ٤٦١٩، و مسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب . . ٦ / ٨٧ رقم ٥٢٤٦ .

(٢) صحيح البخارى كتاب : التفسير باب (والذى قال لوالديه ...) (١٢/ ٨٢) برقم٤٨٢٧

(٣) رواه ابن جرير ٢٤٨/٤ مرسلاً ، ورواه الواحدى ٦٦/١ مرسلاً عن سعيد بن المسيب ثم ذكر ابن جرير والواحدى روايات أخرى تفيد أنها نزلت فى غيره.

الفائدة الرابعة : ومن فوائد معرفة أسباب النزول: معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها. وبيان ذلك أن اللفظ قد يكون عامًّا ويقوم دليل على تخصيصه فلا يجوز إخراج السبب من حكم الآية بالاجتهاد والإجماع لأن دخول السبب قطعي. وإخراجه بدليل التخصيص اجتهادي ، والاجتهاد ظني ، ولا يجوز إخراج القطعي بالظني.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.[النور : ٢٣]

و هذه الآية ضمن عشر آيات نزلت فى حادثة الإفك المشهورة .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – :

هَذِهِ الْعَشْرُ الْآيَاتِ كُلُّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، حِينَ رَمَاهَا أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا قَالُوهُ مِنَ الْكَذِبِ الْبَحْتِ وَالْفِرْيَةِ الَّتِي غَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا وَلِنَبِيِّهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ [اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ] بَرَاءَتَهَا صِيَانَةً لِعِرْضِ الرَّسُولِ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ . (١)

ولفظ الآية عام بالوعيد يشمل التائب وغير التائب. لكن الآية الأخرى استثنت من تاب فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٤-٥].

فلفظ الآية هنا عام ثم خصص بقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ .

وبهذا التخصيص نخصص عموم الآية الأولى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ ﴾ الآية ، لكن التخصيص للآية الأولى لا يشمل سبب نزولها وهو قذف

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٩) وانظر: صحيح البخارى كتاب التفسير بَاب ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا إِلَى قَوْلِهِ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١١/ ٥١٦) حديث رقم : ٤٧٥٠

عائشة – رضي الله عنها– فيبقى على عمومه بعدم قبول توبة من قذفها لأن دخوله في لفظ الآية الأولى العام قطعي وإخراجه بما ورد في الآية الثانية اجتهادي ظني والقطعي لا يخرج بالظني.

وبهذا يبقى حكم عدم قبول توبة القاذف خاصًّا بقذف عائشة وأمهات المؤمنين ، ويكون قبول التوبة في قذف غيرهن ، ولذا قال ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ﴾ نزلت في عائشة خاصة .(١)

وفي حديث آخر عن ابن عباس – رضي الله عنهما– في هذه الآية: "هذه في عائشة وأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم– ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي –صلى الله عليه وسلم– التوبة ، ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا ﴾ . فجعل لمن قذف امرأة من المؤمنين التوبة ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم– توبة.(٢)

والخلاصة أن الثانية خصصت عموم الآية الأولى إلا سبب النزول فلا تخصصه لأن دخوله قطعي وتخصيصها ظني.(٣)

الفائدة الخامسة: فى معرفة سبب النزول كشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ودليل قوى على أنه من عند الله وليس من تأليف محمد – صلى الله عليه وسلم– وتقرير ذلك من وجهين:

الوجه الأول : قد تقع حادثة من الحوادث أو سؤال من الأسئلة أو قضية من القضايا لا يجليها إلا الوحى ، ويكون النبى فى أشد الحاجة إلى الجواب ، وفى غاية الترقب

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٥٧ ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ١١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) ينظر – تكرماً: تفسير ابن جرير (١٩/ ١٣٩)

(٣) دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: ١٤٦)

لتزوله وبعد فترة تطول أو تقصر يتزل الوحى بالقول الفصل فى هذه القضية ، ولو كان القرآن من عند محمد- صلى الله عليه وسلم - لما انتظر كل هذه الفترة ، والحاجة ملحة إلى الجواب ، ولعل خير شاهد على ذلك حادثة الإفك ، وما رميت به الصديقة بنت الصديق من البهتان حتى نزلت براءتها من فوق سبع سموات . فلو كان القرآن من عند محمد- صلى الله عليه وسلم - أكان يصبر كل هذه المدة عن تبرئة أحب أزواجه إليه ؟ ويكتوى بنار الترقب والانتظار قرابة خمسين يوماً.(١)

ومعرفة سبب النزول أعان على كشف هذا الوجه من وجوه الإعجاز.

الوجه الثانى : أشار إليه الشيخ ابن عاشور بقوله: وَثَمَّةَ فَائِدَةٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ لِأَسْبَابِ النُّزُولِ وَهِيَ أَنَّ فِي نُزُولِ الْقُرْآنِ عِنْدَ حُدُوثِ حَوَادِثَ دَلَالَةٌ عَلَى إِعْجَازِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الِارْتِجَالِ ، وَهِيَ إِحْدَى طَرِيقَتَيْنِ لِبُلَغَاءِ الْعَرَبِ فِي أَقْوَالِهِمْ ، فَنُزُولُهُ عَلَى حَوَادِثَ يَقْطَعُ دَعْوَى مَنِ ادَّعَوْا أَنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.(٢)

المسألة الخامسة: خطورة الوضع والدس فى أسباب النزول.

لو نظرنا إلى أسباب النزول نجده شأنه شأن غيره من المأثورات والمروايات ، قد تسلل إليه الدس والكذب ، واحتوى على الضعيف والموضوع بجانب الصحيح ، وهذا أمر له خطورته وضرره ، وتكمن خطورته فى الأمور الآتية.

١- إذا كان سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية ، فإن الضعيف والموضوع منه يقدم فهماً خاطئاً ومعانٍ لا تتفق والمعنى الصحيح للقرآن الكريم .

٢- اشتملت أسباب النزول الواهية على ما يقدح فى القرآن الكريم ويمس من قدسيته فقد صورته بعض الروايات على أن الشيطان زاد فيه ، وأن هذه

---

(١) قالت عائشة – رضى الله عنها – (وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحى إِلَيْهِ فِي شأني) قال الحافظ ابن حجر: حكى السهيلي أَنَّ بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُدَّةَ كَانَتْ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فَأَلْغَى الْكَسْرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَة وَعند بن حَزْمٍ أَنَّ الْمُدَّةَ كَانَتْ خَمْسِينَ يَوْمًا أَوْ أَزْيَدَ وَيُجْمَعُ بِأَنَّهَا الْمُدَّةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ قُدُومِهِمْ الْمَدِينَةَ وَنُزُولُ الْقُرْآنِ فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ وَأَمَّا التَّقْيِيدُ بِالشَّهْرِ فَهُوَ الْمُدَّةُ الَّتِي أَوَّلُهَا إِتْيَانُ عَائِشَةَ إِلَى بَيْتِ أَبَوَيْهَا حِينَ بَلَغَهَا الْخَبَر. فتح البارى ٤٧٥/٨

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٠).

الزيادة انطلت على سامعيه ، حتى اغتر بها كل مؤمن وكافر- كما زعموا ذلك فى قصة الغرانيق – [١] وهذا يخالف ما نطق به القرآن الكريم بأن الله تعالى صانه وحفظه من الزيادة والنقصان كما قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

٣- كما اشتلمت هذه الأسباب الواهية على مالا يتفق وعصمة الأنبياء – صلوات الله عليهم – وأخلاقهم العالية ومترلتهم السامية، ومثال ذلك ما ورد من أسباب واهية فى قصة زواج النبى بابنة عمته زينب بنت جحش – رضوان الله عليها- وكيف صورت الروايات النبى – صلى الله عليه وسلم – فى صورة المحب المتيم الذى هام بزوجة ابنه ، وكتم هذا الحب فى نفسه ، وأمر زيداً بإمساكها وهو فى قرارة نفسه شغوف بها ، يتمنى طلاقها.

٤- اشتمل الواهى من أسباب النزول على ما لا يليق ومترلة بعض الصحابة وجلالة قدرهم وعلو رتبتهم ، نرى ذلك جلياً فى قصة ثعلبة بن حاطب الأنصارى ، التى تزعم الرواية أنه بخل ومنع زكاة ماله ومات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو غاضب عليه ، ولم يقبض منه أبو بكر وعمر – رضى الله عنهما – الزكاة عندما بذلها ، والقول بأن بعض الصحابة كان ينظر إلى النساء المصليات وهو فى الصلاة فنزل فيه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾. [الحجر: ٢٤]

٥- قدمت هذه الأسباب الواهية مادة خصبة للمبشرين والمستشرقين للطعن فى القرآن وفيمن نزل عليه القرآن ، فقصة الغرانيق تلقفها بعض المستشرقين وطعنوا بها فى أصالة القرآن الكريم ، كما تلقفوا قصة زواج النبى – صلى الله عليه وسلم – بأم المؤمنين زينب بنت جحش – رضى الله عنها – ، وتزيدوا فيها ، لمزاً منهم فى عصمة النبى وعلو مترلته .

---

(١) سيأتى الحديث عن هذه القصة بالتفصيل.

٦- كما قدمت هذه الأسباب المكذوبة مادة خصبة للمبتدعة ، حاولوا أن يؤيدوا بها بدعتهم ، ويروجوا بها مبادءهم ، ولم أجد أشنع ولا أرذل ولا أكفر ولا أكذب ، مما وضعه الشيعة ، فقد وضعوا فى تفسير القرآن عامة ، وأسباب النزول خاصة ، ما يقشعر منه الجلد ، لا سيما ما وضعوه فى فضل سيدنا على- رضى الله عنه - ، والحط على الصحابة ، ومع الأسف تسللت طائفة من هذه الموضوعات إلى تفاسير أهل السنة ، نعم لم تكن بالشناعة والبشاعة والكثرة التى كانت عند الشيعة ، ولكنها لم تخل من ضرر.

فانظر إلى ما يرويه العياشى الشيعى عن الباقر أنه قال: لما قال النبى: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بأبى جهل بن هشام أنزل الله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١] يعنيهما. (١) هكذا روى ، عامله الله بما يستحق.

ويزعم محمد بن يعقوب الكلينى الشيعى : فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٣٧]: أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان ، آمنوا بالنبى أولاً ثم كفروا ، حيث عرضت عليهم ولاية على ، ثم آمنوا بالبيعة لعلى ، ثم كفروا بعد موت النبى ، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة. (٢) هكذا زعم قبحه الله وأخزاه.

وهذه الخطورة دفعتنى إلى أن أكتب بحثاً أذكر فيه أسباب النزول الموضوعة مع تفنيدها والرد عليها آملاً أن ينال هذا البحث القبول والرضى من الله - عز وجل - ثم من كل من يطالعه ويقف عليه .

---

(١) تفسير العياشى ٢/ ٣٥٥

(٢) الأصول من الكافى كتاب: الحجة ، باب : فيه نكت ونتف من التنزيل فى الولاية ٣١٧/١

المبحث الثانى

المرذول فى أسباب النزول

المطلب الأول : سبب نزول عليه أثر التشيع.

المطلب الثانى : سبب نزول يقدح فى أحد الصحابة.

المطلب الثالث : سبب نزول يقدح فى أصالة القرآن.

المطلب الرابع : سبب نزول يقدح فى بعض الصحابة.

المطلب الخامس : سبب نزول يقدح فى عصمة النبى- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

المطلب السادس : سبب نزول تسلل عن طريق الشيعة.

المطلب السابع : الجرو يعطل الوحى ويحزن النبى - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -.

المطلب الثامن : سبب نزول عليه أثر العصبية السياسية.

المبحث الثانى

المرذول فى أسباب النزول

المطلب الأول

سبب نزول عليه أثر التشيع

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥]

تذكر بعض الكتب في سبب نزول هذه الآية روايات مفادها أن الآية الكريمة نزلت فى سيدنا على – رضى الله عنه – حين تصدق بخاتمه وهو راكع .

أخرج الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط وَابْن مرْدَوَيْه عَن عمار بن يَاسر قَالَ: وقف بعلي سَائل وَهُوَ رَاكِع فِي صَلَاة تطوّع فَنزع خَاتمه فَأعْطَاهُ السَّائِل فَأتى رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – فأعلمه ذَلِك فَنزلت على النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – هَذِه الْآيَة ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُم الله وَرَسُوله وَالَّذين آمنُوا الَّذين يُقِيمُونَ الصَّلَاة وَيُؤْتونَ الزَّكَاة وهم رَاكِعُونَ ﴾ فَقَرَأَ رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – على أَصْحَابه ثمَّ قَالَ: من كنت مَوْلَاهُ فعلي مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَال من وَالَاهُ وَعَاد من عَادَاهُ. (١)

تفنيد الرواية:

قال الهيثمى : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم. (٢)

وقال السيوطى: رواه الطبرانى فى الأوسط بسند فيه مجاهيل (٣)

وقال الحافظ ابن كثير: وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاق: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّاب بْنُ مُجَاهِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ الْآيَةَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.عَبْدُ الْوَهَّاب بْنُ مُجَاهِدٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ.وَرَوَاهُ ابْنُ مَرْدُويه ، مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سِنان ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، الضَّحَّاكُ لَمْ يَلْقَ ابْنَ عَبَّاسٍ.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ١٠٥) و المعجم الأوسط (٦/ ٢١٨)

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق (٦/ ٣٧٩)

(٣) لباب النقول (ص: ٨١)

وَرَوَى ابْنُ مَرْدُويه أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ –وَهُوَ مَتْرُوكٌ–عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا يُفْرَحُ بِهِ.

ثُمَّ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُويَهْ ، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، نَفْسِهِ ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَأَبِي رَافِعٍ. وَلَيْسَ يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ ، لِضَعْفِ أَسَانِيدِهَا وَجَهَالَةِ رِجَالِهَا. (١)

الشيعة واستدلالهم بالآية على ولاية سيدنا على– رضى الله عنه–:

حاول الشيعة بكل مالهم من جدل ومرواغة ، أن يثبتوا بهذه الآية ولاية سيدنا على وأنه الإمام بعد النبى – صلى الله عليه وسلم – وتناثرت هذه الرواية فى تفاسيرهم حتى أبعد بعضهم النجعة فادعى الإجماع على أن الآية نزلت فى سيدنا علي .

يقول الرافضى ابن المطهر الحلى : (٢)

" الْمَنْهَجُ الثَّانِي: فِي الْأَدِلَّةِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَثِيرَةٌ .

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥٥] وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ . قَالَ الثَّعْلَبِيُّ فِي إِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي ذَرٍّ: [قَالَ] : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِهَاتَيْنِ وَإِلَّا صَمَتَا ، وَرَأَيْتُهُ بِهَاتَيْنِ وَإِلَّا عَمِيَتَا يَقُولُ: «عَلِيٌّ قَائِدُ الْبَرَرَةِ ، وَقَاتِلُ الْكَفَرَةِ ، فَمَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، وَمَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ " أَمَا إِنِّي صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَوْمًا صَلَاةَ الظُّهْرِ ، فَسَأَلَ سَائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، فَرَفَعَ السَّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَشْهَدُ أَنِّي

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٩)

(٢) قائل ذلك ابن المطهر الحلى فى كتابه (منهاج الكرامة) والذى رد على الإمام ابن تيمية رحمه الله – بكتاب (منهاج السنة النبوية) وكلام ابن المطهر نقلته من : منهاج السنة النبوية جـ ٧ ص: ٥

سَأَلْتُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَلَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئًا ، وَكَانَ عَلِيٌّ رَاكِعًا ، فَأَوْمَأَ بِخِنْصَرِهِ الْيُمْنَى ، وَكَانَ مُتَخَتِّمًا فِيهَا ، فَأَقْبَلَ السَّائِلُ حَتَّى أَخَذَ الْخَاتَمَ ، وَذَلِكَ بِعَيْنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنَّ مُوسَى سَأَلَكَ وَقَالَ : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي – وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي – وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي – يَفْقَهُوا قَوْلِي – وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي – هَارُونَ أَخِي – اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي – وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [سُورَةُ طه: ٢٥ – ٣٢] فَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ قُرْآنًا نَاطِقًا: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ [سُورَةُ الْقَصَصِ: ٣٥] . اللَّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ ، اللَّهُمَّ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، عَلِيًّا اشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي " قَالَ أَبُو ذَرٍّ: " فَمَا اسْتَتَمَّ كَلَامُ [رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –] حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ.

قَالَ : وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: اقْرَأْ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥٥] (١)

وقد رد ابن تيمية على هذا الرافضى ، وناقشه الحساب فقال:

الْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّا نُطَالِبُهُ بِصِحَّةِ هَذَا النَّقْلِ ، أَوْ لَا يُذْكَرُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى وَجْهٍ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ ؛ فَإِنَّ مُجَرَّدَ عَزْوِهِ إِلَى تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ ، أَوْ نَقْلَ الْإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْعَالِمِينَ بِالْمَنْقُولَاتِ ، الصَّادِقِينَ فِي نَقْلِهَا ، لَيْسَ بِحُجَّةٍ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، إِنْ لَمْ نَعْرِفْ ثُبُوتَ إِسْنَادِهِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَوَى فَضِيلَةً لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، لَمْ يَجُزِ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ بِمُجَرَّدِ ثُبُوتِ رِوَايَتِهِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ: " قَدْ أَجْمَعُوا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ " مِنْ أَعْظَمِ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ ، بَلْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنَّقْلِ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ فِي عَلِيٍّ بِخُصُوصِهِ ، وَأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَتَصَدَّقْ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْقِصَّةَ الْمَرْوِيَّةَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ الْمَوْضُوعِ.

---

(١) نقلاً عن: منهاج السنة النبوية جـ ٧ ص: ٥

وَأَمَّا مَا نَقَلَهُ مِنْ تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ ، فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ أَنَّ الثَّعْلَبِيَّ يَرْوِي طَائِفَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَاتِ ، كَالْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ فِي فَضْلِ تِلْكَ السُّورَةِ ، وَكَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَلِهَذَا يَقُولُونَ: " هُوَ كَحَاطِبِ لَيْلٍ ".

وَهَكَذَا الْوَاحِدِيُّ تِلْمِيذُهُ ، وَأَمْثَالُهُمَا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: يَنْقُلُونَ الصَّحِيحَ وَالضَّعِيفَ.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الْبَغَوِيُّ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ ، أَعْلَمَ بِهِ مِنَ الثَّعْلَبِيِّ وَالْوَاحِدِيِّ ، وَكَانَ تَفْسِيرُهُ مُخْتَصَرَ تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ ، لَمْ يَذْكُرْ فِي تَفْسِيرِهِ شَيْئًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي يَرْوِيهَا الثَّعْلَبِيُّ ، وَلَا ذَكَرَ تَفَاسِيرَ أَهْلِ الْبِدَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الثَّعْلَبِيُّ ، مَعَ أَنَّ الثَّعْلَبِيَّ فِيهِ خَيْرٌ وَدِينٌ ، لَكِنَّهُ لَا خِبْرَةَ لَهُ بِالصَّحِيحِ مِنَ الْأَحَادِيثِ ، وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْوَالِ .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ يُقَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُفَسِّرُونَ الَّذِينَ نَقَلَ مِنْ كُتُبِهِمْ ، هُمْ - وَمَنْ هُمْ أَعْلَمُ مِنْهُمْ - قَدْ نَقَلُوا مَا يُنَاقِضُ هَذَا الْإِجْمَاعَ الْمُدَّعَى ، وَالثَّعْلَبِيُّ [قَدْ نَقَلَ] فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ. وَنَقَلَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ: قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ، قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ. قُلْتُ: فَإِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: هُوَ عَلِيٌّ. قَالَ: فَعَلِيٌّ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا.

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّا نُعْفِيهِ مِنَ الْإِجْمَاعِ ، وَنُطَالِبُهُ أَنْ يَنْقُلَ ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ صَحِيحٍ. وَهَذَا الْإِسْنَادُ الَّذِي ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ ، فِيهِ رِجَالٌ مُتَّهَمُونَ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنْ يُقَالَ: لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ أَنْ يُؤْتِيَ الزَّكَاةَ حَالَ رُكُوعِهِ ، كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ ؛ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي الْمُوَالَاةِ ، وَأَنْ لَا يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ إِلَّا عَلِيًّا وَحْدَهُ ، فَلَا يَتَوَلَّى الْحَسَنُ وَلَا الْحُسَيْنُ وَلَا سَائِرُ بَنِي هَاشِمٍ. وَهَذَا خِلَافُ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ قَوْلَهُ: " الَّذِينَ " صِيغَةُ جَمْعٍ ؛ فَلَا يَصْدُقُ عَلَى عَلِيٍّ وَحْدَهُ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُثْنِي عَلَى الْإِنْسَانِ [إِلَّا] بِمَا هُوَ مَحْمُودٌ عِنْدَهُ: إِمَّا وَاجِبٌ ، وَإِمَّا مُسْتَحَبٌّ. وَالصَّدَقَةُ وَالْعِتْقُ وَالْهَدِيَّةُ وَالْهِبَةُ وَالْإِجَارَةُ وَالنِّكَاحُ وَالطَّلَاقُ

، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُودِ فِي الصَّلَاةِ ، لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَلَا مُسْتَحَبَّةً بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ يُبْطِلُ الصَّلَاةَ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ ، بَلْ تَبْطُلُ بِالْإِشَارَةِ الْمُفْهِمَةِ. وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: لَا يَحْصُلُ الْمِلْكُ بِهَا لِعَدَمِ الْإِيجَابِ الشَّرْعِيِّ. وَلَوْ كَانَ هَذَا مُسْتَحَبًّا ؛ لَكَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَفْعَلُهُ وَيَحُضُّ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ ، وَلَكَانَ عَلِيٌّ يَفْعَلُهُ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ .

فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، عُلِمَ أَنَّ التَّصَدُّقَ فِي الصَّلَاةِ لَيْسَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ لَا يَفُوتُ ، فَيُمْكِنُ الْمُتَصَدِّقَ إِذَا سَلَّمَ أَنْ يُعْطِيَهُ ، وَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ لَشُغْلًا.

الْوَجْهُ الثَّامِنُ: أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ هَذَا مَشْرُوعٌ فِي الصَّلَاةِ ، لَمْ يَخْتَصَّ بِالرُّكُوعِ ، بَلْ يَكُونُ فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ أَوْلَى مِنْهُ فِي الرُّكُوعِ ، فَكَيْفَ يُقَالُ: لَا وَلِيَّ [لَكُمْ] إِلَّا الَّذِينَ يَتَصَدَّقُونَ فِي كُلِّ الرُّكُوعِ. فَلَوْ تَصَدَّقَ الْمُتَصَدِّقُ فِي حَالِ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ: أَمَّا كَانَ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْمُوَالَاةَ؟ .فَإِنْ قِيلَ: هَذِهِ أَرَادَ بِهَا التَّعْرِيفَ بِعَلِيٍّ عَلَى خُصُوصِهِ.

قِيلَ لَهُ: أَوْصَافُ عَلِيٍّ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا كَثِيرَةٌ ظَاهِرَةٌ ، فَكَيْفَ يَتْرُكُ تَعْرِيفَهُ بِالْأُمُورِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَيُعَرِّفُهُ بِأَمْرٍ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ سَمِعَ هَذَا وَصَدَّقَهُ؟ .

وَجُمْهُورُ الْأُمَّةِ لَمْ تَسْمَعْ هَذَا الْخَبَرَ ، وَلَا [هُوَ] فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْمُسْلِمِينَ الْمُعْتَمَدَةِ: لَا الصِّحَاحِ ، وَلَا السُّنَنِ ، وَلَا الْجَوَامِعِ ، وَلَا الْمُعْجَمَاتِ ، وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْأُمَّهَاتِ. فَأَحَدُ الْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ: إِنْ قَصَدَ بِهِ الْمَدْحَ بِالْوَصْفِ فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ قَصَدَ بِهِ التَّعْرِيفَ فَهُوَ بَاطِلٌ.

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: أَنْ يُقَالَ: قَوْلُهُ: ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ عَلَى قَوْلِهِمْ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَى الزَّكَاةَ فِي حَالِ رُكُوعِهِ. وَعَلِيٌّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْهِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَإِنَّهُ كَانَ فَقِيرًا ، وَزَكَاةُ الْفِضَّةِ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَى مَنْ مَلَكَ النِّصَابَ حَوْلًا ، وَعَلِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ.

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: أَنَّ إِعْطَاءَ الْخَاتَمِ فِي الزَّكَاةِ لَا يَجْزِئُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، إِلَّا إِذَا قِيلَ بِوُجُوبِ الزَّكَاةِ فِي الْحُلِيِّ. وَقِيلَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ جِنْسِ الْحُلِيِّ ، وَمَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ بِالْقِيمَةِ ، فَالتَّقْوِيمُ فِي الصَّلَاةِ مُتَعَذِّرٌ ، وَالْقِيَمُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ.

الْوَجْهُ الْحَادِيَ عَشَرَ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٤٣] هَذَا أَمْرٌ بِالرُّكُوعِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٤٣] وَهَذَا أَمْرٌ بِالرُّكُوعِ.

قَدْ قِيلَ: ذَكَرَ ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ الْجَمَاعَةَ ؛ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ فِي الْجَمَاعَةِ إِنَّمَا يَكُونُ مُدْرِكًا لِلرَّكْعَةِ بِإِدْرَاكِ رُكُوعِهَا ، بِخِلَافِ الَّذِي لَمْ يُدْرِكْ إِلَّا السُّجُودَ ، فَإِنَّهُ قَدْ فَاتَتْهُ الرَّكْعَةُ. وَأَمَّا الْقِيَامُ فَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ الْإِدْرَاكُ.

وَبِالْجُمْلَةِ " الْوَاوُ " إِمَّا وَاوُ الْحَالِ ، وَإِمَّا وَاوُ الْعَطْفِ. وَالْعَطْفُ هُوَ الْأَكْثَرُ ، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْخِطَابِ. وَقَوْلُهُ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتْ وَاوَ الْحَالِ ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ دَلِيلٌ عَلَى تَعْيِينِ ذَلِكَ بَطَلَتِ الْحُجَّةُ ، [فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ الْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ؟ !] .

الْوَجْهُ الثَّانِيَ عَشَرَ: أَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ الْمُسْتَفِيضِ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ، خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّهْيِ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ ، وَالْأَمْرِ بِمُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَمَّا كَانَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ، يُوَالِي الْيَهُودَ ، وَيَقُولُ: إِنِّي أَخَافُ الدَّوَائِرَ. فَقَالَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوِلَايَتِهِمْ.

وَلِهَذَا لَمَّا جَاءَتْهُمْ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَسَبَبُ تَآمُرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، يُبَيِّنُ فِيهَا وُجُوبَ مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ عُمُومًا ، وَيَنْهَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ عُمُومًا.

الْوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ: أَنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ لِمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥١] . فَهَذَا نَهْيٌ عَنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَصْبَحُوا

خَاسِرِينَ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥٢ – ٥٣]. فَهَذَا وَصْفُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، الَّذِينَ يُوَالُونَ الْكُفَّارَ كَالْمُنَافِقِينَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥٤] فَذَكَرَ فِعْلَ الْمُرْتَدِّينَ وَأَنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، وَذَكَرَ مَنْ يَأْتِي بِهِ بَدَلَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥٥ – ٥٦] .

فَتَضَمَّنَ هَذَا الْكَلَامُ ذِكْرَ أَحْوَالِ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَمِمَّنْ يَرْتَدُّ عَنْهُ ، وَحَالَ الْمُؤْمِنِينَ الثَّابِتِينَ عَلَيْهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

فَهَذَا السِّيَاقُ ، مَعَ إِتْيَانِهِ أَتَى بِصِيغَةِ الْجَمْعِ ، مِمَّا يُوجِبُ لِمَنْ تَدَبَّرَ ذَلِكَ عِلْمًا يَقِينًا لَا يُمْكِنُهُ دَفْعُهُ عَنْ نَفْسِهِ: أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، لَا تَخْتَصُّ بِوَاحِدٍ بِعَيْنِهِ: لَا أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا عُمَرَ ، وَلَا عُثْمَانَ ، وَلَا عَلِيٍّ ، وَلَا غَيْرِهِمْ. لَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ الْأُمَّةِ بِالدُّخُولِ فِيهَا.

الْوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ: أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْحَدِيثِ مِمَّا يُعْلَمُ أَنَّهَا كَذِبٌ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَإِنَّ عَلِيًّا لَيْسَ قَائِدًا لِكُلِّ الْبَرَرَةِ ، بَلْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَلَا هُوَ أَيْضًا قَاتِلًا لِكُلِّ الْكَفَرَةِ ، بَلْ قَتَلَ بَعْضَهُمْ ، كَمَا قَتَلَ غَيْرُهُ بَعْضَهُمْ. وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ الْقَاتِلِينَ لِبَعْضِ الْكُفَّارِ ، إِلَّا وَهُوَ قَاتِلٌ لِبَعْضِ الْكَفَرَةِ. (١)

إذن القول بأن الآية نزلت فى سيدنا على – رضى الله عنه – لا يصح سنداً ولا متناً .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ٥– ٢٠)

المطلب الثانى

سبب نزول يقدح فى أحد الصحابة

أخرج الواحدى وغيره عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ حَاطِبٍ الْأَنْصَارِيَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ" ، ثُمَّ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللَّهِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ تَسِيلَ مَعِيَ الْجِبَالُ فِضَّةً وَذَهَبًا لَسَالَتْ". فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَئِنْ دَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مَالًا لَأُوتِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا " ، فَاتَّخَذَ غَنَمًا فَنَمَتْ كَمَا يَنْمُو الدُّودُ ، فَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ فَتَنَحَّى عَنْهَا ، فَنَزَلَ وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَتِهَا حَتَّى جَعَلَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ فِي جَمَاعَةٍ وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُمَا ، ثُمَّ نَمَتْ وَكَثُرَتْ حَتَّى ترك الصلاة إلى الْجُمُعَةَ ، وَهِيَ تَنْمُو كَمَا يَنْمُو الدُّودُ حَتَّى تَرَكَ الْجُمُعَةَ ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: " مَا فَعَلَ ثَعْلَبَةُ؟ " فَقَالُوا: اتَّخَذَ غَنَمًا وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهِ ، فَقَالَ: "يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ" ثَلَاثًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣] وَأَنْزَلَ فَرَائِضَ الصَّدَقَةِ ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلَيْنِ عَلَى الصَّدَقَةِ رَجُلًا مِنْ جُهَيْنَةَ وَرَجُلًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَكَتَبَ لَهُمَا كَيْفَ يَأْخُذَانِ الصَّدَقَةَ ، وَقَالَ لَهُمَا: مُرَّا بِثَعْلَبَةَ وَبِفُلَانٍ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَخُذَا صَدَقَاتِهِمَا ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا ثَعْلَبَةَ فَسَأَلَاهُ الصَّدَقَةَ وَأَقْرَآهُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ إِلَّا جِزْيَةٌ ، مَا هَذِهِ إِلَّا أُخْتُ الْجِزْيَةِ ، مَا أَدْرِي مَا هَذَا؟ انْطَلِقَا حَتَّى تَفْرَغَا ثُمَّ تَعُودَا إِلَيَّ ، فَانْطَلَقَا وَأَخْبَرَا السُّلَمِيَّ ، فَنَظَرَ إِلَى خِيَارِ أَسْنَانِ إِبِلِهِ فَعَزَلَهَا لِلصَّدَقَةِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُمْ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: مَا يَجِبُ هَذَا عَلَيْكَ وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَهُ مِنْكَ ، قَالَ: بَلَى خُذُوهُ فَإِنَّ نَفْسِي بِذَلِكَ طَيِّبَةٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ إِبِلِي. فَأَخَذُوهَا مِنْهُ ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ صَدَقَتِهَا رَجَعَا حَتَّى مَرَّا بِثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ: أَرُونِي كِتَابَكُمَا حَتَّى أَنْظُرَ فِيهِ ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ إِلَّا أُخْتُ الْجِزْيَةِ

انْطَلِقَا حَتَّى أَرَى رَأْيِي ، فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا النَّبِيَّ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَلَمَّا رَآهُمَا قَالَ: "يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ" قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمَا ، وَدَعَا لِلسُّلَمِيِّ بِالْبَرَكَةِ ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي صَنَعَ ثَعْلَبَةُ وَالَّذِي صَنَعَ السُّلَمِيُّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبة:٧٥] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٧] وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلٌ مِنْ أَقَارِبِ ثَعْلَبَةَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى ثَعْلَبَةَ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ كَذَا وَكَذَا ، فَخَرَجَ ثَعْلَبَةُ حَتَّى أَتَى النبيّ –عليه الصلاة والسلام – فَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ صَدَقَتَهُ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ صَدَقَتَكَ" ، فَجَعَلَ يَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "هَذَا عَمَلُكَ ، قَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي" ، فَلَمَّا أَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئًا ، ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – حِينَ اسْتُخْلِفَ ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ مَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمَوْضِعِي مِنَ الْأَنْصَارِ فَاقْبَلْ صَدَقَتِي ، فَقَالَ: لَمْ يَقْبَلْهَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا أَقْبَلُهَا؟ فَقُبِضَ أَبُو بَكْرٍ وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَتَاهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْبَلْ صَدَقَتِي ، فَقَالَ: لَمْ يَقْبَلْهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَا أَبُو بَكْرٍ أَنَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ؟ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقُبِضَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ثُمَّ وَلِيَ عُثْمَانُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ صَدَقَتَهُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمْ يَقْبَلْهَا وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ وَأَنَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ؟ فَلَمْ يَقْبَلْهَا عُثْمَانُ ، فَهَلَكَ ثَعْلَبَةُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

تفنيد القصة:

وهذه القصة الواهية يقشعر منها الجلد ، وقد ذكرتها بطولها ليظهر ما فيها من شناعة وبشاعة .

---

(١) أسباب النزول للواحدى (ص: ٢٥٢)

فهى تقدح فى أحد الصحابة الذين شهدوا بدراً ، فقد ذكر ابن عبد البر[١] وابن الأثير[٢] أن هذا الصحابى هو: (ثعلبة بْن حاطب بْن عمرو بْن عبيد بْن أمية بْن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بْن مالك بْن الأوس الأنصاري الأوسي شهد بدرًا).

وفراراً من هذه الشناعة ذكر ابن حجر أن ثعلبة هذا هو غير ثعلبة البدرى فقال: وفي كون صاحب هذه القصة إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري المذكور قبله نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي إن البدري استشهد بأحد ويقوي ذلك أيضاً أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكورة قال وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال (لئن آتانا الله من فضله) الآية فذكر القصة بطولها فقال إنه ثعلبة بن أبي حاطب والبدري .

وقد ثبت أنه – صلى الله عليه و سلم – قال (لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية)[٣] وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[٤] فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه ويترل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله أعلم.[٥]

وأقول الحديث لم يصح فقد ضعفه المحققون من العلماء .

قال العراقى: رواه الطبرانى بإسناد ضعيف.[٦]

قال الهيثمى : فيه على بن يزيد الألهانى ، وهو متروك .[٧]

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٠٩)

(٢) أسد الغابة (١/ ٢٨٣)

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٤/ ٥٩٠) وصححه شعيب الأرنؤوط فى تحقيقه على المسند . المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٢٠٦) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٥/ ٣٤٥) وصححه المحقق.

(٤) صحيح البخاري كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ باب : الجاسوس (٤/ ٦٠) برقم ٣٠٠٧

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥١٦)

(٦) تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار (ص: ١١٧٩)

(٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٣٢)

وقد بيّن بطلانَ هذا الحديث جمعٌ من الأئمة والحفاظ من المتقدمين والمتأخرين كابن حزم في المحلى قال : قَدْ رُوِّينَا أَثَرًا لَا يَصِحُّ ، وَفِيهِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ – وَهَذَا بَاطِلٌ ، لِأَنَّ ثَعْلَبَةَ بَدْرِيٌّ مَعْرُوفٌ [١]

والقرطبي [٢] والألباني. [٣]

متن القصة يدل على ضعفها:

وكما أن سند القصة غير صحيح كذلك متنها يهتف بعدم صحتها وذلك من وجوه:

الوجه الأول : أنها تتهم صحابياً بدرياً بجحد الزكاة ومخالفة أمر الله وأمر رسوله بل ووصل به الأمر أنه وصف الزكاة بالجزية وفى هذا ما فيه من تشنيع على الصحابة.

الوجه الثانى : الآيات التى يزعم أنها نزلت فى هذه الواقعة تعقب على هذا الأمر ئ كَانُوا يَكْذِبُونَ بقوله تعالى ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا ﴾ [التوبة:٧٧] وهذا يليق بالمنافقين لا بالصحابة الكرام.

الوجه الثالث : الزعم بأن النبى – صلى الله عليه وسلم – وأبا بكر وعمر لم يقبلوا منه الزكاة . وهذا مخالف للنصوص القاطعة بقبول توبة التائب مهما كان جرمه ، حتى ولو كان جرمه الكفر . قال تعالى ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٢] وقال :﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال: ٣٨] وقال :﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]

ما أجهل واضع هذه الرواية أراد أن يرغب الناس فى أداء الزكاة فلم تكفه النصوص الصحيحة فافترى قصة تنتقص صحابياً وتنال منه وتخالف القرآن الكريم .

---

(١) المحلى بالآثار (١٢/ ١٣٧)

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٢١٠)

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ١١٢)

المطلب الثالث

سبب نزول يقدح فى أصالة القرآن

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢]

قال ابن جرير: قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، أن الشيطان كان ألقي على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم يترله الله عليه ، فاشتدّ ذلك على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –واغتمَّ به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات.

ذكروا أنه لما قرأ سورة النجم وبلغ قوله – تعالى– ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[النجم:١٩–٢٠] ألقى الشيطان على لسانه وحماه الله من ذلك (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) وأنه لما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المؤمنون والكافرون ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فترل تسلية له قوله – تعالى– ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢]. (١)

ثم ساق ابن جرير القصة بعدة أسانيد كلها مرسلة ، وبألفاظ متقاربة.

وفى رواية : فأوحى الله إليه: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ... ﴾ [الإسراء:٧٣] إلى قوله: ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٥]. (٢)

---

(١) ينظر– تكرماً: تفسير الطبري (١٨/ ٦٦٣)

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

تفنيد هذه القصة:

هذه القصة من القصص الباطلة وليس لها إسناد صحيح متصل إلى النبى – صلى الله وعليه وسلم .

قال أَبُو بكر بن الْعَرَبِيّ: وَذكر – أى الطبرى – فِي ذَلِك رِوَايَات كَثِيرَة بَاطِلَة لَا أصل لَهَا. (١)

قال القاضى عياض : هَذَا الحَدِيث لم يُخرجهُ أحد من أهل الصِّحَّة ، وَلَا رَوَاهُ ثِقَة بِسَنَد سليم مُتَّصِل مَعَ ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وَانْقِطَاع إِسْنَاده.

وقال وَمن حملت عَنهُ هَذِه الْقِصَّة من التَّابِعين والمفسرين لم يسندها أحد مِنْهُم وَلَا رَفعهَا إِلَى صَاحب ، وَأَكْثر الطّرق عَنْهُم فِي ذَلِك ضَعِيفَة واهية .(٢)

وقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ إِنَّهُ لَمْ يَرَهَا مَسْنَدَةً مِنْ وَجْهٍ صَحِيحٍ.. (٣)

وقال الشنقيطى: قِصَّةَ الْغَرَانِيقِ مَعَ اسْتِحَالَتِهَا شَرْعًا لَمْ تَثْبُتْ مِنْ طَرِيقٍ صَالِحٍ لِلِاحْتِجَاجِ ، وَصَرَّحَ بِعَدَمِ ثُبُوتِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ. (٤)

وقد تتبع الشيخ الألبانى طرق هذه القصة وبين ما فيها من علل وضعف ثم قال: تلك هي روايات القصة ، وهي كلها كما رأيت مُعَلَّة بالإرسال والضّعف والجَهالة ، فليس فيها ما يصلُح للاحتجاج به ، لا سيّما في مثل هذا الأمر الخطير(٥) .

مخالفة القصة للأصول :

ومع إسناد القصة التى يجعلها لا تصلح للاحتجاج فإنها تخالف القرآن الكريم مخالفة صارخة ، فقد أفادت القصة تسلط الشيطان على النبى –صلى الله عليه وسلم

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٥/ ٤٥٣)

(٢) ينظر : تكرماً: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٢٥ – ١٢٦)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤١)

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٦١)

(٥) ينظر : تكرماً: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (ص: ٣٥)

– وأنه زاد فى القرآن ما ليس منه والله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس: ١٥] ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ [الحجر: ٤٢] ويقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩] ويقول : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة ٤٤– ٤٧]. وقوله : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾[النجم :٣] فكيف يسلط الشيطان عليه ويزيد فى القرآن ما ليس منه؟

مصادمة القصة للعقل:

ومما يهتف ببطلان هذه القصة ويؤكد فريتها : مخالفتها للمعقول وذلك من وجوه:

" أَحَدُهَا: أَنَّ مَنْ جَوَّزَ عَلَى الرَّسُولِ – صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تَعْظِيمَ الْأَوْثَانِ فَقَدْ كَفَرَ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ أَعْظَمَ سَعْيِهِ كَانَ فِي نَفْيِ الْأَوْثَانِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مَا كَانَ يُمْكِنُهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنْ يُصَلِّيَ وَيَقْرَأَ الْقُرْآنَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ آمِنًا أَذَى الْمُشْرِكِينَ لَهُ حَتَّى كَانُوا رُبَّمَا مَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا كَانَ يُصَلِّي إِذَا لَمْ يَحْضُرُوهَا لَيْلًا أَوْ فِي أَوْقَاتِ خَلْوَةٍ وَذَلِكَ يُبْطِلُ قَوْلَهُمْ .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ مُعَادَاتَهُمْ لِلرَّسُولِ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُقِرُّوا بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ دُونَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَكَيْفَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ عَظَّمَ آلِهَتَهُمْ حَتَّى خَرُّوا سُجَّدًا مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ عِنْدَهُمْ مُوَافَقَتَهُ لَهُمْ .

وَرَابِعُهَا: قَوْلُهُ: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِحْكَامَ الْآيَاتِ بِإِزَالَةِ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ عَنِ الرَّسُولِ أَقْوَى مِنْ نَسْخِهِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تَبْقَى الشُّبْهَةُ مَعَهَا ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّه إِحْكَامَ الْآيَاتِ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ مَا لَيْسَ بِقُرْآنٍ قُرْآنًا ، فَبِأَنْ يُمْنَعَ الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ أَصْلًا أَوْلَى .

وَخَامِسُهَا: وَهُوَ أَقْوَى الْوُجُوهِ/ أَنَّا لَوْ جَوَّزْنَا ذَلِكَ ارْتَفَعَ الْأَمَانُ عَنْ شَرْعِهِ وَجَوَّزْنَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَيَبْطُلُ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٦٧] فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ فِي الْعَقْلِ بَيْنَ التُّقْصَانِ عَنِ الْوَحْيِ وَبَيْنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ فَبِهَذِهِ الْوُجُوهِ عَرَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَوْضُوعَةٌ أَكْثَرُ مَا فِي الْبَابِ أَنَّ جَمْعًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ذَكَرُوهَا لَكِنَّهُمْ مَا بَلَغُوا حَدَّ التَّوَاتُرِ ، وَخَبَرُ الْوَاحِدِ لَا يُعَارِضُ الدَّلَائِلَ النَّقْلِيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ الْمُتَوَاتِرَةَ. (١)

الخبر لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة:

و مما يبعد القول بثبوته أيضاً عدم إخراج أحد من المشايخ الكبار له في شيء من الكتب الستة مع أنه مشتمل على قصة غريبة وفي الطباع ميل إلى سماع الغريب وروايته ومع إخراجهم حديث سجود المشركين معه – صلّى الله عليه وسلّم – حين سجد آخر النجم ، فقد روى البخاري(٢) ومسلم(٣) والنسائي(٤) وغيرهم عن ابن مسعود– رضى الله عنه– أن النبي – صلّى الله عليه وسلّم – قرأ والنجم فسجد فيها وسجد كل من كان معه غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصى أو تراب ورفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا.(٥)

السورة لم تكن مدحا للأصنام بل كانت ذماً لهم:

أيضا المتأمل لسياق سورة النجم يجدها ذماً للأصنام وأنها مجرد أسماء لا قيمة لها ثم نعى القرآن على عابديها وبين أن عبادتهم لها ما هو الا اتباع للظنون ولما تهواه أنفسهم ، أفبعد هذا النقد اللاذع والتسفيه لهم ، يخرون سجداً وتزول العدواة من أجل كلمات لا تتجاوز نصف سطر ؟

---

(١) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٨)

(٢) صحيح البخارى كتاب المغازى بَاب قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ (٩/ ٥٨٧) حديث رقم : ٣٩٦١

(٣) صحيح مسلم كتاب المساجد باب سجود التلاوة (٢/ ٨٨) حديث رقم : ١٣٢٥

(٤) سنن النسائي كتاب الصلاة باب سجود القرآن (٢/ ١٦٠) حديث رقم: ٩٥٨

(٥) تفسير الألوسي (٩/ ١٧٤)

العرب لم يعهد عنها تسمية آلهتها بالغرانيق:

ومما يدل على افتعال القصة ما ذكره الامام الشيخ محمد عبده فى رد هذه الفرية ، وهو : أن وصف العرب لآلهتهم بالغرانيق لم يرد لا في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم ، إلا ما جاء في: "معجم ياقوت" من غير سند ، ولا معروف بطريق صحيح ، والذي تعرفه اللغة: أن الغرنوق والغرانيق: اسم لطائر مائي أسود أو أبيض ، ومن معانيه: الشاب الأبيض الجميل ، ويطلق على غير ذلك "راجع القاموس" ، ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام ، حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذي يعرض على أمراء الفصاحة والبيان ، ولا يجوز أن يكون هذا من قبيل المجاز ، بتشبيه الأصنام والآلهة بالغرانيق؛ لأن الذوق الأدبي العربي يأبى ذلك[1] .

مما قيل أنه نزل فى القصة ، يدل على بطلانها:

أن ما زعموه أنه نزل بسببها لا يدل على دعوتهم بل يبطلها ويأتى عليها من القواعد ، وما مثلهم إلا كمثل الذى أراد أن يستدل على دخول الليل بسطوع الشمس ، وعلى فهاهة زيد بقصيدته البليغة . فقد زعموا أن الشيطان لم ألقى على لسان النبى –صلى الله عليه وسلم – (تلك الغرانيق العلى ..) الخ نزل قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ...﴾ الآية [الحج: ٥٢] وقوله تعالى :﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ، وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾[سورة الإسراء:٧٣-٧٤]. مع أن النجم الشريف يفيد عصمة النبى – صلى الله عليه وسلم – وحفظه من النزول على رغبة المشركين وإجابة طلبهم .

قال بعض العلماء: وهذه الآية أوضحت غاية الإيضاح ، براءة نبينا – صلى الله عليه وسلم – من مقاربة الركون إلى الكفار ، فضلا عن نفس الركون لأن لَوْلا

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ٣٢٠- ٣٢١)

حرف امتناع لوجود ، فمقاربة الركون منعتها لَوْلا الامتناعية لوجود التثبيت من الله- تعالى- لأكرم خلقه - صلى الله عليه وسلم - فاتضح يقيناً انتفاء مقاربة الركون- أى الميل- ، فضلا عن الركون نفسه[١] .

موقف الحافظ ابن حجر من القصة:

وقبل أن أطوى الكلام عن هذه القصة الباطلة أذكر رأى الحافظ ابن حجر حتى لا يغتر به مغتر ، ففى كلام الحافظ ما يشى بأن للقصة أصلاً.

قال الحافظ - بعد أن تكلم عن طرق الرواية وبين عدم اتصالها - قال: وَكُلُّهَا سِوَى طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ إِمَّا ضَعِيفٌ وَإِمَّا مُنْقَطِعٌ لَكِنْ كَثْرَةُ الطُّرُقِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْقِصَّةِ أَصْلًا مَعَ أَنَّ لَهَا طَرِيقَيْنِ آخَرَيْنِ مُرْسَلَيْنِ رِجَالُهُمَا عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ أَحَدُهُمَا : مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ يزيد عَن بن شِهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَذَكَرَ نَحْوَهُ . وَالثَّانِي : مَا أَخْرَجَهُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فَرَّقَهُمَا عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، ثم قال - بعد أن ذكر كلام القاضى أبى بكر ابن العربى وكلام القاضى عياض فى رد القصة - : وَجَمِيعُ ذَلِكَ لَا يَتَمَشَّى عَلَى الْقَوَاعِدِ فَإِنَّ الطُّرُقَ إِذَا كَثُرَتْ وَتَبَايَنَتْ مَخَارِجُهَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ لَهَا أَصْلًا وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَّ ثَلَاثَةَ أَسَانِيدَ مِنْهَا عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ وَهِيَ مَرَاسِيلُ يَحْتَجُّ بِمِثْلِهَا مَنْ يَحْتَجُّ بِالْمُرْسَلِ وَكَذَا مَنْ لَا يَحْتَجُّ بِهِ لِاعْتِضَادِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ تَعَيَّنَ تَأْوِيلُ مَا وَقَعَ فِيهَا مِمَّا يُسْتَنْكَرُ ... [٢]

ويؤخذ من كلام الحافظ رحمه الله- أن القصة لم تصح من طريق متصل ، وأنها صحت من طرق كلها مرسلة ، ثلاث أسانيد منها على شرط الصحيح ، وهذا يدل - عنده - على أن للقصة أصلاً.

---

(١) التفسير الوسيط د / طنطاوي (٨/ ٤٠٥)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٣٩)

الرد عليه:

أقول: ما صدر عن الحافظ هفوة عالم ، وكبوة جواد ، ونبوة صارم ، لا يخل منها عالم ، ويجاب عن كلامه رحمه الله بما يلي :

١- المرسل عند جمهور المحدثين ليس بحجة .

قال الإمام مسلم – رحمه الله – في مقدمة كتابه " وَالْمُرْسَلُ مِنَ الرِّوَايَاتِ فِي أَصْلِ قَوْلِنَا وَقَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالأَخْبَارِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ " [١] .

قال النووي – رحمه الله : " ثم المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين وكثير من الفقهاء ، وأصحاب الأصول ، ودليلنا في رد العمل به ، أنه إذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله ، فرواية المرسل أولى لأن المروي عنه محذوف مجهول العين والحال.. [٢] .

وقال ابن الصلاح: وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه ، هو الذي استقر عليه آراء جماعة حفاظ الحديث ونقاد الأثر ، وتداولوه في تصانيفهم. قال: والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما في طائفة. والله أعلم[٣] .

والحافظ ابن حجر نفسه حمل على المراسيل فقال : وقد حكى القاضي عبد الله بن عيسى بن لهيعة عن شيخ من الخوراج أنه سمعه يقول بعد ما تاب : إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثا ... قلت: وهذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل إذ بدعة الخوارج كانت في صدر الإسلام والصحابة متوافرون ثم في عصر التابعين فمن بعدهم وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً وأشاعوه فربما سمعه الرجل السني فحدث به ولم يذكر من حدث به تحسيناً للظن به فيحمله عنه غيره ويجيء الذي يحتج بالمقاطيع فيحتج به ويكون أصله ما ذكرت فلا حول ولا قوة الا بالله[٤]

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٣)

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص: ١٣٣)

(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص ٥٤: ٥٥) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص: ٤٨)

(٤) لسان الميزان (١/١٠- ١١)

٢- وأقول هب أنه مرسل صحيح السند ، كثير الطرق ، هل يؤخذ به ، وقد خالف القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة ، وكم من أخبار أقوى من هذا بكثير رفضتها الأمة لمخالفتها القرآن الكريم وصحيح السنة ، وقد قال سيدنا عمر – رضى الله عنه عندما روت فاطمة بنت قيس أَن النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – لم يَجْعَل للمبتوتة نَفَقَة وَلَا سُكْنى ، (لَا نَدع كتاب رَبنَا وَسنة نَبينَا بقول امْرَأَة لَا نَدْرِي أصدقت أم كذبت) وتلا قَوْله تَعَالَى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق:٦][1]

وَوجه التَّمَسُّك بِهَذِهِ الْقِصَّة أَن عمر- رَضِي الله عَنهُ – رأى التَّمَسُّك بِالْعُمُومِ أولى من قبُول الْخَبَر الَّذِي روته فَاطِمَة". [2] . وَرَدَّتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – حَدِيثَ تَعْذِيبِ الْمَيِّتِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ وَتَلَتْ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤] [3] .

٣- الاحتجاج بالمرسل إن ساغ فإنما يسوغ فى الفرعيات أما الاحتجاج به فى العقائد بل فيما يصادم العقيدة فلا ، روى الخطيب البغدادى ، عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يقول إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد والرجال ، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الرجال [4] .

لهذا أرى أن سبب النزول هذا سبب مفتعل ولا يصح تحت أى وجه من الوجوه.

---

(١) الخبر فى صحيح مسلم كتاب : الطلاق ، باب: الْمُطَلَّقَةُ ثَلاَثًا لاَ نَفَقَةَ لَهَا. (٤/ ١٩٨)

(٢) التلخيص في أصول الفقه (٢/ ١١٥)

(٣) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٢٩٤) ،ينظر حديث عائشة – رضى الله عنها صحيح البخاري كتاب الجنائز باب قول النبي – صلى الله عليه و سلم – (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) . (١/ ٤٣٢)

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٩١)

المطلب الرابع

سبب نزول يقدح فى بعض الصحابة

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر:٢٤]

قال الواحدى: أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ الْوَاعِظُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ الرَّازِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ الرَّازِيُّ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ الطَّاحِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ تُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ فِي آخِرِ النِّسَاءِ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَقَدَّمُ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ لِئَلَّا يَرَاهَا ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَكُونُ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ فَإِذَا رَكَعَ قَالَ هَكَذَا ، وَنَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبِطِهِ ، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾[1]

من صحح هذه الرواية:

هذا الأثر صححه الحاكم ووافقه الذهبى [2] كما صححه الشيخ أحمد شاكر فى تحقيق أحاديث مسند أحمد [3] ، وحسنه شعيب الأرنؤط فى تحقيقه على صحيح ابن حبان [4] ، وصححه الألبانى. [5]

من ضعف هذه الرواية:

ضعف هذه الرواية الحافظ ابن كثير فقال بعد أن أوردها: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ، وقد رواه عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ﴾ في الصفوف

---

(١) أسباب النزول (ص: ٢٧٥)

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٨٤)

(٣) مسند أحمد تحقيق الشيخ احمد شاكر (٣/ ٢٣٧)

(٤) صحيح ابن حبان – تحقيق شعيب الأرنؤوط (٢/ ١٢٦)

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٦٠٨)

في الصلاة و ﴿ الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ، ليس فيه لابن عباس ذكر.[١]

ووهن الترمذى طريق نوح فقال : قال أبو عيسى وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح[٢] .

وقال الإمام ابن جرير بعد أن ساق جملة من الأقوال في ذلك: وأولى الأقوال عندي بالصحة ، قول من قال: ولقد علمنا الأموات منكم يا بنى آدم فتقدم موته ، ولقد علمنا المستأخرين الذين تأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم وممن لم يحدث بعد ... »[٣] .

وقال ابن عاشور عن الحديث: (وهو خبر واهٍ لا يلاقي انتظام هذه الآيات ولا يكون إلا من التفاسير الضعيفة). اهـ. باختصار[٤] .

وقال الدكتور خالد بن سليمان المزينى:

ومدار الحديث على عمرو بن مالك النكري لم يوثقه أحد من ذوي الشأن باستثناء ابن حبان[٥] ومع ذلك فقد قال: (يخطئ ويغرب)[٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٢)

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٩٦)

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٩٤)

(٤) التحرير والتنوير (١٤/ ٤٠)

(٥) الثقات لابن حبان (٨/ ٤٨٧)

(٦) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (١/ ٨٥) قال ابن حبان : يحيى بن عَمْرو بن مَالك النكري من أهل الْبَصْرَة يروي عَن أَبِيه عَن أبي الجوزاء روى عَنْهُ عَبْد اللَّهِ بْن عبد الْوَهَّاب الحجي والبصريون كَانَ مُنكر الرِّوَايَة عَن أَبِيه وَيحْتَمل أَن يكون السَّبَب فِي ذَلِك مِنْهُ أَو من أَبِيه أَو مِنْهُمَا مَعًا وَلَا نستحل أَن يُطلق الْجرْح على مُسلم قبل الاتضاح بل الْوَاجِب تنكب كل رِوَايَة يَرْوِيهَا عَن أَبِيه لما فِيهَا من مُخَالفَة الثِّقَات والوجود من الْأَشْيَاء المعضلات فَيكون هُوَ وَأَبوهُ جَمِيعًا متروكين. [المجروحين لابن حبان (٣/ ١١٤)]

والذى أميل إليه عدم صحة الحديث لما فيه من طعن فى الصحابة ، وعدم اعتماده عند كثير من المفسرين فبعض المفسرين ضعفه كابن كثير وابن عاشور ، والبعض تنكبه ولم يعرج عليه ، كالشوكانى فى فتح القدير ، أو رجح قولاً يخالفه كالطبرى.

فهذا السبب لا يصح إذ كيف يُظن ببعض أصحاب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هذا الظن السيء مع ما لهم من المنزلة والإحسان والرفعة والإيمان والسابقة التي لا يلحقهم بها أحد أن يفعلوا هذا الفعل وهم قائمون بين يدي اللَّه وراكعون وساجدون.

إن رجلاً من أهل هذا الزمان لو قيل لك: إنه يفعل ذلك في صلاته لاقشعر جلدك ولم تكد تصدق حتى ترى هذا منه بأم عينيك ، فكيف يصدق مثله في أشرف صحب وأطهر قوم.

وبناءً على ما تقدم فإني أقول: إن الحديث المذكور ليس سببًا لنزول الآية الكريمة لما يلي:

١ – ضعف إسناده فمداره على عمرو بن مالك النكري ، لم يوثقه أحد من ذوي الشأن باستثناء ابن حبان ، ومع تساهله في التوثيق فقد قال عنه: يخطئ ويغرب.

٢ – سياق الآيات ليس بينه وبين الحديث صلة .

فسياق الآيات قبلها في الإحياء والإماتة ، وبعدها في الحشر إلى اللَّه ، فأين صفوف المصلين من السياقين السابق واللاحق؟

٣ – النيل من بعض الصحابة والقدح فيهم دليل الخطأ والزلل ، فوقوع هذا الفعل من الصحابة. من أبعد البعيد ، فكيف إذا كانوا يصلون؟

إذن : الحديث المذكور ليس سبباً للنزول ، لضعف سنده ، ومخالفته للسياق ، وطعنه في بعض أصحاب رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والله أعلم[1]

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٦٤٩ – ٦٥٠)

المطلب الخامس

سبب نزول يقدح فى عصمة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣٧) .

تروى بعض كتب التفسير فى سبب نزول هذه الآية قصة شنيعة تقدح فى عصمة النبى– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– مفاد هذه القصة أن النبى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– رأى زينب وكانت امرأة جميلة فوقعت فى قلبه وتناثرت من فمه عبارات تدل على إعجابه بها فذكرت زينب ماسمعته من النبى– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– لزيد فأراد طلاقها ، ولكن النبى– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– أمره بإمساكها ، مخفياً تعلقه بها ، وقد فسر البعض هذه الآية تماهياً وتماشياً مع هذا السبب المزعوم .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد: كان النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته ، فخرج رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشف ، وهي في حجرتها حاسرة ، فوقع إعجابها في قلب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر ، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي ، قال: ما ذاك ، أرابك منها شيء؟ " قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله ، ولا رأيت إلا خيرًا ، فقال له رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: أمسك عليك زوجك واتق الله ، فذلك قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها(١) .

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٤)

وقال السمعاني وأما سَبَب نزُول هَذِهِ الْآيَة: " أَن النَّبِي لما زوج زَيْنَب من زيد وَمَضَت على ذَلِك مُدَّة ، دخل عَلَيْهَا رَسُول الله يَوْمًا فرآها قَائِمَة ، وَكَانَت بَيْضَاء جميلَة ذَات خلق ، وَهِي فِي درع وخمار ، فَلَمَّا رَآهَا وُقعت فِي قلبه وَأَعْجَبَهُ حسنها ، وَقَالَ: سُبْحَانَ مُقَلِّب الْقُلُوب. وَسمعت ذَلِك زَيْنَب ، وَخرج رَسُول الله وَفِي قلبه مَا شَاءَ الله ، فَلَمَّا دخل عَلَيْهَا زيد ذكرت ذَلِك لَهُ ". وَفِي بعض التفاسير: " أَن زيداً جَاءَ يشكو زَيْنَب ، وَكَانَت امْرَأَة لسنة ، فَذهب رَسُول الله ليعظها ، فَكَانَ الْأَمر على مَا ذكرنَا ، ثمَّ إِن زيدا أَتَى رَسُول الله وَقَالَ: يَا رَسُول الله ، إِنِّي أَشْكُو إِلَيْك سوء خلق زَيْنَب ، وَإِن فِيهَا كبراً ، وَإِنِّي أُرِيد أَن أطلقها ، فَقَالَ لَهُ رَسُول الله: أمسك عَلَيْك زَوجك أَي امْرَأَتك وَاتَّقِ الله فِي أمرهَا "[1] .

وقال الواحدى : ثم إن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أتى زيداً فأبصر زينب قائمة ، وكانت بيضاء جميلة جسيمة ، من أتم نساء قريش ، فوقعت في قلبه ، فقال: سبحان مقلب القلوب[2] .

تفنيد هذه الرواية:

● هذه الرواية مردودة سنداً ومتناً أما من حيث السند فهى رواية ساقها البعض بدون إسناد ، وساقها البعض بإسناد مرسل فيه ضعفاء ، فرواية ابن جرير ساقها عن ابن زيد ، وابن زيد هذا هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، كما ذكر الزيلعي[3] قال عنه ابن الجوزى : ضعفه أَحْمد وَعلي وَأَبُو دَاوُد وَأَبُو زرْعَة وَأَبُو حَاتِم الرَّازِيّ وَالنَّسَائِيّ وَالدَّارَقُطْنِيّ وَقَالَ : ابْن حبَان كَانَ يقلب الْأَخْبَار وَهُوَ لَا يعلم حَتَّى كثر ذَلِك فِي رِوَايَته من رفع الْمَرَاسِيل وَإِسْنَاد الْمَوْقُوف فَاسْتحقَّ التّرْك[4].

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٦)

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٤٧٢)

(٣) تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١١٢)

(٤) الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (٢/ ٩٥)

كما ساق ابن جرير الرواية من طريق آخر عن قتادة [١] مرسلاً فهذا الطريق معلول بالإرسال .

قال الحافظ ابن كثير : ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَاهُنَا آثَارًا عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، أَحْبَبْنَا أن نضرب عَنْهَا صفحا لِعَدَمِ صِحَّتِهَا فَلَا نُورِدُهَا[٢] .

● الوارد فى كتب الحديث المعتمدة فى شأن زينب ليس فيه هذه الزيادات المنكرة ففى رواية الإمام البخارى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ[٣] اقتصر البخارى على هذا ولم يذكر غيره.

وخلاصة القول أن زواج النبى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من السيدة زينب لم يكن الهدف منه إشباع شهوة أواتباع لداعى الحب وإنما كان الهدف الأساسى منه إبطال عادة سيئة كانت سائدة فى العرب وهى عادة التبني ولا أبلغ من إبطال هذه العادة من أن يتزوج النبى– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – امرأة زيد الذى كان بالأمس يدعى ابنه فهذا الزواج كان من أقوى المعاول لهدم هذه العادة . لا شك أن النبى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عندما أخبره زيد برغبته فى طلاق زينب ، والنبى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يعلم – بعلم الله اياه – ان الطلاق واقع لا محالة وأنها ستكون من أزواجه خاف من إرجاف البعض به وقولهم تزوج بامرأة ابنه فقال لزيد (أمسك عليك زوجك واتق الله) وعلى هذا وقع عتابه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذ كان الأولى به ألا يخشى قول الناس تزوج بامرأة ابنه.

قال الحافظ ابن حجر : وَالْحَاصِلُ أَنَّ الَّذِي كَانَ يُخْفِيهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هُوَ إِخْبَارُ اللَّهِ إِيَّاهُ أَنَّهَا سَتَصِيرُ زَوْجَتَهُ وَالَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ عَلَى إِخْفَاءِ

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسى ولد سنة ٦١ ومات سنة سبع عشرة ومائة وقال أبو حاتم توفي بواسط في الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين . ينظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١– ٣٥٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٥)

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٧٩٧) كتاب التفسير باب ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه)

ذَلِكَ خَشْيَةَ قَوْلِ النَّاسِ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ ابْنِهِ وَأَرَادَ اللَّهُ إِبْطَالَ مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ التَّبَنِّي بِأَمْرٍ لَا أَبْلَغُ فِي الْإِبْطَالِ مِنْهُ وَهُوَ تَزَوُّجُ امْرَأَةِ الَّذِي يُدْعَى ابْنًا وَوُقُوعُ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ أَدْعَى لِقَبُولِهِمْ وَإِنَّمَا وَقَعَ الْخَبْطُ فِي تَأْوِيلِ مُتَعَلِّقِ الْخَشْيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [1].

وللشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – كلام طيب أنقله اتماماً للفائدة يقول – رحمه الله:

على أنّ الغريب في هذه القصة ما أدخله المغفّلون عليها من دسائس الشهوة ومظاهر الحبّ الرخيص ، فقد زعموا أنّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – أحبّ زينب ، ثم كتم هذا الحب ، ثم ظهر ، فتزوجها بعد ما طلقت!.

ثم زعموا أنّ صدر الآية السابقة جاء عتاباً له عن هذه العاطفة المكبوتة.

ونحن نتعجّب أشدّ العجب لهذا الخبط الهائل ، ومحاولة تلبيس الحق بالباطل.

من كان يمنع محمداً – صلى الله عليه وسلم – من الزواج بزينب وهي قريبته– بنت عمته– وهو الذي ساقها إلى رجل لم تكن فيه راغبة ، وطيّب خاطرها لترضى به؟!.

أفبعد أن يقدّمها لغيره يطمع فيها؟!.

ثم لننظر إلى الآية ، وما يزعمون أنها تضمنته من عتاب.

إنهم يقولون: الذي كان يخفيه النبي – صلى الله عليه وسلم – في نفسه ، ويخشى فيه الناس دون الله هو ميله لزينب ، أي أنّ الله– بزعمهم– يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل!.

ونقول: هل الأصل الخلقي أنّ الرجل إذا أحب امرأة لغط بين الناس مشهّراً بنفسه وبمن أحبّ؟ وخصوصاً إذا كان ذا عاطفة منحرفة ، جعلته يحب امرأة رجل آخر؟.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/٥٢٤)

هل يلوم الله رجلاً لأنّه أحبّ امرأة آخر فكتم هذا الحبّ في نفسه ، أكان يرفع درجته لو أنّه صاغ فيها قصائد غزل؟.

هذا والله هو السفه!.

وهذا السفه هو ما يريد بعض المغفّلين أن يفسّروا به القرآن!!.

إنّ الله لا يعاتب أحداً على كتمان حبّ طائش ، وإنّما سياق الواقعة هو كما قصصنا عليك.

فالذي أخفاه النبي – صلى الله عليه وسلم – في نفسه تأذّيه من هذا الزواج المفروض ، وتراخيه في إنفاذ أمر الله به ، وخوفه من لغط الناس عند ما يجدون نظام التبني– كما ألفوه– قد انهار.

وقد أفهم الله نبيّه ، أنّ أمره لا يجوز أن يوقفه توهّم شيء ما. وأنّه– بإزاء التكليف الأعلى– لا مفرّ له من السمع والطاعة ، شأن من سبقه من المرسلين.

وإذا عدت إلى الآية التي تتضمّن القصة؛ وجدتها ختمت بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي من حقه أن يقع حتماً.

ثم أعقبها ما يؤكد هذا المعنى :

﴿ ما كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً ، الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [الأحزاب ٣٨-٣٩] .

إنّك عندما تثبّت قلب رجل تقول له: لا تخش إلا الله.

إنّك لا تقول ذلك له وهو بصدد ارتكاب معصية ، إنما تقول ذلك له وهو يبدأ القيام بعمل فاضل كبير ، يخالف التقاليد المتوارثة.

وظاهر في هذه الآيات كلّها أنّ الله لا يجرّئ نبيّه على التدلّه بحب امرأة ، إنما يجرئه على إبطال عادة سيئة يتمسّك الناس بها ، ويراد منه كذلك أن ينزل على حكمها ، لذلك يقول الله– بعد ذلك مباشرة– وهو يهدم نظام التبني: ﴿ ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب :٤٠][1] .

---

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٣٨ – ٤٤٠)

المستشرقون وهذه القصة:

وقد نسج المستشرقون ، والمبشرون ، أعداء الدين ، من تلك الروايات المختلقة الواهية ثوبا من الكذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب – رضى الله عنها – وقد رآها النبي الطاهر ، كما يصور الشباب الطائش إحدى غادات المسرح ، وطعنوا في غير مطعن ، فالروايات ليس لها أساس من الصحة فبناؤهم على غير أساس[١] .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل:

ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان ، حين يتحدثون عن تاريخ محمد في هذا الموضوع ، حتى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي ، وهي نصف عارية أو تكاد ، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها ، الناطق بما يكنيه من كل معاني الهوى ، ويذكر آخرون: أنه حين فتح باب بيت زيد لعب الهواء بأستار غرفة زينب ، وكانت ممدودة على فراشها في ثياب نومها ، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها ، فكتم ما في نفسه ، وإن لم يُطِقِ الصبر على ذلك طويلا!! وأمثال هذه الصور التي أبدعها الخيال كثير ، تراه في موير وفي درمنجم وفي واشنطن ارفنج ، وفي لامنس. وغيرهم من المستشرقين والمبشرين. [٢] .

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ٣٢٦)

(٢) حياة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – د: محمد حسين هيكل ص ٢٠٤.

المطلب السادس

سبب نزول تسلل عن طريق الشيعة

قال تعالى:﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧ ، ٨]

عن مجاهد عن ابن عباس قال: مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وعادهما عامة العرب ، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت عن ولديك شيئاً ، وكل نذر ليس له وفاء فليس بشئ. فقال – رضي الله عنه: إن برأ ولداي صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت جارية لهم نوبية: إن برأ سيداي صمت لله ثلاثة أيام شكرا. وقالت فاطمة مثل ذلك.

فقال الحسن والحسين: علينا مثل ذلك فألبس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فانطلق علي إلى شمعون بن حاريا الخيبري ، وكان يهودياً ، فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير ، فجاء به ، فوضعه ناحية البيت ، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته ، وصلى علي مع النبي – صلى الله عليه وسلم– ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه.

إذ أتاهم مسكين ، فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد – أنا مسكين من مساكين أمة محمد – صلى الله عليه وسلم ، وأنا والله جائع ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

فسمعه علي رضي الله عنه ، فأنشأ يقول:

فاطم ذات المجد واليقين ... يا ابنة خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكوا إلى الله ويستكين ... يشكوا إلينا جائع حزين
كل امرء بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين
موعدنا جنة عليين ... حرمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين ... تهوى به النار إلى سجين
شرابه الحميم والغسلين ... من يفعل الخير يقم سمين

ويدخل الجنة أي حين

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أمرك عندي يا ابن عم طاعة ما بي من لؤم ولا وضاعة
غديت في الخبز له صناعه أطعمه ولا أبالي الساعة
أرجو إذا أشبعت ذا المجاعة أن ألحق الأخيار والجماعة
وأدخل الجنة لي شفاعة

فأطعموه الطعام ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا إلا الماء القراح ، فلما أن كان في اليوم الثاني قامت إلى صاع فطحنته واختبزته ، وصلى علي مع النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم ، فوقف بالباب يتيم فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد ، يتيم من أولاد المهاجرين أستشهد والدي يوم العقبة. أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

فسمعه علي فأنشأ يقول:

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيم
لقد أتى الله بذي اليتيم من يرحم اليوم يكن رحيم
موعده في جنّة النعيم قد حرّم الخلد على اللئيم
ألا يجوز الصراط المستقيم يزل في النار إلى الجحيم
شرابه الصديد والحميم

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أطعمه اليوم ولا أبالي وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعا وهم أشبالي أصغرهم يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيال للقاتل الويل مع الوبال
تهوى به النار إلى سفال وفي يديه الغل والأغلال

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا إلا الماء القراح ، فلما كانت في اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته ، وصلى علي مع النبي – صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل ، فوضع الطعام بين أيديهم ، إذ أتاهم أسير

فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد ، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا ! أطعموني فإني أسير محمد.

فسمعه علي فأنشأ يقول:

فاطم يا بنة النبي أحمد ... بنت نبي سيد مسوّد
هذا أسير للنبي المهتد ... مكبّل في غلّه مقيّد
يشكو إلينا الجوع قد تمدد ... من يطعم اليوم يجده من غد
عند العلي الواحد الموحّد ... ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأنشأت فاطمة تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع ... قد ذهبت كفي مع الذراع
ابناي والله من الجياع ... يا رب لا تتركهما ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع ... يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين طويل الباع ... وما على رأسي من قناع

إلّا قناعا نسجه أنساع

فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح ، فلما أن كان في اليوم الرابع ، وقد قضى الله النذر أخذ بيده اليمنى الحسن ، وبيده اليسرى الحسين ، وأقبل نحو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: [يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة] فانطلقوا إليها وهي في محرابها ، وقد لصق بطنها بظهرها ، وغارت عيناها من شدة الجوع ، فلما رآها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعرف المجاعة في وجهها بكى وقال: [واغوثاه يا الله ، أهل بيت محمد يموتون جوعا] فهبط جبريل عليه السلام وقال: السلام عليك ، ربك يقرئك السلام يا محمد ، خذه هنيئا في أهل بيتك.

قال: (وما آخذ يا جبريل) فأقرأه ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] إلى قوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان:٨-٩]

قال القرطبي : هذه القصة ذكرها النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين[١] .

وقد أوردها بتمامها رغم طولها ليتبين ما فيها من كذب وإسفاف ؛ وبما أن القصة تتعلق بأهل البيت وجدت عند الشيعة ملاذاً آمناً ، فقد روج بعضهم لها ودافعوا عنها فالطبرسي يقول : فقد روى الخاص والعام أن الآيات من هذه السورة وهي قوله:﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان:٥] إلى قوله : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإنسان:٢٢] نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – وجارية لهم تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح . ثم ذكر مجمل القصة ودافع عنها دفاعاً ضعيفاً لا ينطلي إلا على من قصر باعه وقلت بضاعته[٢] .

وإليك تفنيد هذه القصة:

أولا : سند الرواية: ذكر العلماء أن هذه القصة موضوعة فقد ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أَبِي عبد الله السَّمَرْقَنْدِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ الْكُوفِيِّ عَنْ الأَصْبَغِ بْنِ نَبَاتَةَ. وقال : (وَهَذَا حَدِيثٌ لَا يُشَكُّ فِي وَضْعِهِ) ثم تكلم عن إسنادها فقال : قال يحيى بن معين: أصبغ بن نباتة لا يساوى شيئا.وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديث محمد بن كثير. وأما أبو عبد الله السمرقندي فلا يوثق به[٣] .

قَالَ الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ فِي نَوَادِر الْأُصُول: وَمن الحَدِيث الَّذِي تنكره الْقُلُوب حَدِيث لَيْث عَن مُجَاهِد عَن ابْن عَبَّاس ، فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حبه مِسْكِينا ويتيما وأسيرا ﴾

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٠)

(٢) ينظر- تكرماً: مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ١٦٣-١٦٦

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٣٩٠ - ٣٩١)

[الإنسان:٧-٨] قَالَ: مرض الْحسن وَالْحُسَيْن فَعَادَهُمَا رَسُول الله فَذكر الْخَبَر بِطُولِهِ ، ثمَّ قَالَ الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث مفتعل[١].

قال ابن عراق: وَقَالَ الْحَافِظ ابْن حجر فِي لِسَان الْمِيزَان فِي ترْجَمَة الْقَاسِم بن بهرام قَاضِي هيت: إِنَّه صَاحب هَذَا الحَدِيث يَعْنِي مفتعله وَالله تَعَالَى أعلم[٢].

ثانيا : مخالفتها للأصول ، القصة تخالف القرآن والسنة فالذى ينفق كل ماعنده ويترك أهله لا سيما الأطفال منهم يتضورون جوعاً بل قد شارفوا الهلاك من الجوع لا شك أنه مذموم . قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة:٢١٩] وقال سبحانه:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء:٢٩] وقال فى صفة عباد الرحمن ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[الفرقان:٦٧].

قال الترمذي الحكيم[٣] في نوادر الأصول: فهذا حديث مزوق مزيف ، قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يغض شفتيه تلهفا ألا يكون بهذه الصفة ، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم ، وقد قال الله تعالى في تنزيله: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [البقرة ٢١٩] وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك ، وجرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بأن [خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى][٤] [وابدأ بنفسك ثم بمن تعول][٥] وافترض الله على الازواج نفقة أهاليهم وأولادهم.

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٢٤٤)

(٢) تنزيه الشريعة (٩/ ٣٦٣)

(٣) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله الحكيم الترمذي: باحث صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، مات نحو ٣٢٠ هـ . ينظر: لسان الميزان (٥/ ٣٠٨)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٢)

(٤) صحيح البخاري كتاب الزكاة بَاب لَا صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (٢/ ٥١٨)

(٥) صحيح البخاري كتاب الزكاة ، بَاب لَا صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (٢/ ٥١٨) بلفظ: (خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وابدأ بمن تعول) ولم أجد فى الروايات : ابدأ بنفسك.

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: [كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت] [١] أفيحسب عاقل أن علياً جهل هذا الأمر حتى أجهد صبياناً صغاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ حتى تضوروا من الجوع ، وغارت العيون منهم ، لخلاء أجوافهم ، حتى أبكى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما بهم من الجهد.

هب أنه آثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك ؟ ! وهب أن أهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهن ؟ ! ما يروج مثل هذا إلا على حمقى جهال ، أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعلي مثل هذا.

وليت شعري من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة ، وإجابة كل واحد منهما صاحبه ، حتى أداه إلى هؤلاء الرواة ؟ فَهَذَا وأشباهه عامتها مفتعلة [٢] .

قال القرطبي :

فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى . بلغني أن قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة ، فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه ، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة ، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها[٣] .

ثالثاً : ركاكة اللفظ . فالأشعار الوادرة فى القصة أشعار ركيكة سقيمة المعنى . قال أبو حيان – رحمه الله–(وَفِيهَا أَشْعَارٌ لِلْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَسِيرِ ، يُخَاطَبُونَ بِهَا بيت النُّبُوَّةِ ، وأَشْعَارٌ لِفَاطِمَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – تُخَاطِبُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، ظَاهِرُهَا الِاخْتِلَافُ لِسَفْسَافِ أَلْفَاظِهَا وَكَسْرِ أَبْيَاتِهَا وَسَفَاطَةِ مَعَانِيهَا)[٤] .

---

(١) رواه الحاكم وصححه . المستدرك (١/ ٥٧٥)

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٢٤٤ – ٢٤٧)

(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ١٣٥)

(٤) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٦٢)

وقال الحافظ ابن كثير: (وَهَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ ، وَمِنَ الْأَئِمَّةِ مَنْ يَجْعَلُهُ مَوْضُوعًا وَيُسْنِدُ ذَلِكَ إِلَى رِكَّةِ أَلْفَاظِهِ ، وَأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ إِنَّمَا وُلِدَا بِالْمَدِينَةِ) (١) .

رابعاً: مما يرد هذه الرواية قول من قال إن السورة مكية ، والحسن والحسن ولدا بالمدينة ، والقول بأن السورة مكية قاله : ابن عباس ومقاتل والكلبي (٢) وقال أبو حيان : هذه السورة مكية عند الجمهور(٣) إذن السورة مختلف فى مكان نزولها ، وعلى قول من قال إنها مكية تبطل هذه القصة من أساسها .

فالقصة واهية سنداً ومتناً.

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٦٥٠)

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١١٨)

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٣٥٨)

المطلب السابع

الجرو يعطل الوحى ويحزن النبى – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم –

عَن أم حَفْص عَن أمهَا وَكَانَت خَادِم رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – إِن جرواً دخل بَيت – النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – فَدخل تَحت السرير فَمَاتَ فَمَكثَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَرْبَعَة أَيَّام لَا يتزل عَلَيْهِ الْوَحْي فَقَالَ: يَا خَوْلَة مَا حدث فِي بَيت رَسُول الله – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– جِبْرِيل لَا يأتيني فَقلت يَا نَبِي الله مَا أَتَى علينا يَوْم خير منا الْيَوْم فَأخذ برده فلبسه وَخرج فَقلت فِي نَفسِي: لَو هيأت الْبَيْت وكنسته فَأَهْوَيْت بالمكنسة تَحت السرير فَإِذا بِشَيْء ثقيل فَلم أزل حَتَّى بدا لي الجرو مَيتاً فَأَخَذته بيَدي فألقيته خلف الدَّار فجَاء – النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – ترْعد لحيته وَكَانَ إِذا نزل عَلَيْهِ أَخَذته الرعدة فَقَالَ: يَا خَوْلَة دثريني فَأنْزل الله عَلَيْهِ ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذا سجى ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿ فترضى ﴾[1].

تفنيد الرواية:

وهذه القصة تناقلتها بعض كتب التفسير عن خولة خادم رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وذكرها ضمن أسباب نزول سوررة (الضحى) وهى قصة واهية ، لا تقوم على ساق ، فلا السند صحيح ولا المتن مليح ، أما من حيث السند ، ففى إسنادها من لا يعرف.

قال ابن عبد البر : خولة خادم رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. جدة حفص بْن سَعِيد. روى حديثها حفص هَذَا ، عَنْ أمه ، عنها فِي تفسير قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذا سَجى. ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى ﴾ وليس إسناد حديثها فِي ذلك مما يحتج به[2].

قال الحافظ ابن حجر : وَوَجَدْت الْآن فِي الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ مَنْ لَا يُعْرَف أَنَّ سَبَب نُزُولهَا وُجُود جَرْو كَلْب تَحْت سَرِيره – صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمْ يَشْعُر

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٤١) وعزاه إلى : ابْن أبي شيبَة فِي وَالطَّبَرَانِيّ وَابْن مرْدَوَيْه.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٣٤)

بِهِ فَأَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيل لِذَلِكَ ، وَقِصَّة إِبْطَاء جِبْرِيل بِسَبَبِ كَوْن الْكَلْب تَحْت سَرِيره مَشْهُورَة ، لَكِنْ كَوْنهَا سَبَب نُزُول هَذِهِ الْآيَة غَرِيب ، بَلْ شَاذّ ، مَرْدُود بِمَا فِي الصَّحِيح وَاَللَّه أَعْلَم[١] .

ويقول الشيخ صبحى الصالح : ورائحة الوضع ظاهرة في الرواية الثانية (رواية الجرو) ، فكل ما فيها من اللفظ والمعنى يدعو إلى الدهشة والاستغراب[٢].

وأما من حيث المتن فلا ندر كيف يفتر الوحى ، وينقطع هدى السماء ، ويحزن – بسبب ذلك – سيد الأنبياء بسبب جرو ميت فى بيته؟

كما أن الوحى لم يكن ينزل عليه – صلى الله عليه وسلم – فى بيته فقط ، بل كان ينزل عليه فى بيته وفى غير بيته ، فإن تعذر نزول الوحى في بيته ، كان من الممكن أن ينزل عليه فى مكان آخر ، وماذا لو لم تكنس الخادمة البيت ، أكان ينقطع الوحى وتتعطل النبوة ؟ ما أغنانا عن هذه الترهات التى تناطح العقول دون أن تحمل معها فائدة.

كما أن هذا السبب المزعوم يخالف ما ورد فى الصحيح .

أخرج الإمام البخارى[٣] ومسلم[٤] عن جندب بن سفيان قال : اشتكى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتت امرأة – وفى رواية أنها أم جميل امرأة أبى لهب – فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فأنزل الله – تعالى – : ﴿ والضحى . والليل إذَا سجى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى ﴾ .

والصحيح أن هذه السورة نزلت من أول ما نزل من القرآن ، لما انقطع عنه الوحي ، فقال المشركون: إن محمداً قد ودعه ربه ، فأنزل الله هذه السورة[٥] .

---

(١) فتح البارى ٨/٧١٠

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ١٤٧)

(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل (٤/ ١٩٠٦) حديث رقم ٤٦٩٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي –صلى الله عليه و سلم – من أذى المشركين والمنافقين (٣/ ١٤٢١) حديث رقم:١٧٩٧

(٥) أسد الغابة (٦/ ٩٥)

المطلب الثامن

سبب نزول عليه أثر العصبية السياسية

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عن الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الْحُدَّانِيُّ عَنْ يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: « قَامَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَمَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ: سَوَّدْت وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ: لَا تُؤَنِّبْنِي رَحِمَك اللَّهُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ ، فَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] يَعْنِي نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ ، وَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر:١– ٣] يَمْلِكُهَا بَنُو أُمَيَّةَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ الْقَاسِمُ: فَعَدَدْنَاهَا فَإِذَا هِيَ أَلْفٌ لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ يَوْمًا»[(١)].

تقتيد الرواية: ·

هذا الحديث باطل ولعله من دسائس الشيعة ، وقد حكم عليه المحققون المحققون من العلماء بعدم الصحة ، متناً وإسناداً. فقد قال الترمذى بعد روايته لهذا الحديث :

هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن و القاسم بن الفضل الحداني هو ثقة ، وثقه يحيى بن سعيد و عبد الرحمن بن مهدي ، و يوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه[(٢)] .

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن بين الاضطراب فى سند هذا الحديث : ثُمَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ مُنْكَرٌ جِدًّا ، قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ: هُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ[(٣)] .

---

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة القدر(٥/ ٤٤٤)

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤٤٤)

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٢)

وقال الألباني : (ضعيف الاسناد مضطرب ، ومتنه منكر)[١].

وحكم ببطلان هذا التأويل أيضًا ابن جرير في تفسيره ، حيث قال بعدما ذكر هذا الحديث ضمن أقوال ذكرها ، قال: وأشبه الأقوال بظاهر التنزيل من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وأما الأقوال الأخر ، فمعانٍ باطلة لا دلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هي موجودة في التنزيل[٢] .

قال الشيخ ابن عاشور:

وَاتَّفَقَ حُذَّاقُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ كَثِيرٍ وَذَكَرَهُ عَنْ شَيْخِهِ الْمِزِّيِّ ، وَأَقُولُ: هُوَ مُخْتَلُّ الْمَعْنَى وَسِمَاتُ الْوَضْعِ لَائِحَةٌ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ وَضْعِ أَهْلِ النِّحَلِ الْمُخَالِفَةِ لِلْجَمَاعَةِ فَالِاحْتِجَاجُ بِهِ لَا يَلِيقُ أَنْ يَصْدُرَ مِثْلُهُ عَنِ الْحَسَنِ مَعَ فَرْطِ عِلْمِهِ وَفِطْنَتِهِ ، وَأَيَّةُ مُلَازَمَةٍ بَيْنَ مَا زَعَمُوهُ مِنْ رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ دَفْعِ الْحَسَنِ التَّأْنِيبَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ وَضْعِ دُعَاةِ الْعَبَّاسِيِّينَ. (٣)

هذا الحديث يخالف الواقع فمدة حكم بنى أمية أكثر من ألف شهر.

قال الحافظ ابن كثير: " قُلْتُ: وَقَوْلُ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ الْحُدَّانِي إِنَّهُ حَسَبَ مُدَّة بَنِي أُمَيَّةَ فَوَجَدَهَا أَلْفَ شَهْرٍ لَا تَزِيدُ يَوْمًا وَلَا تَنْقُصُ ، لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ فَإِنَّ معاوية بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ حِينَ سَلَّم إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْإِمْرَةَ سنةَ أَرْبَعِينَ ، وَاجْتَمَعَتِ الْبَيْعَةُ لِمُعَاوِيَةَ ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ عَامَ الْجَمَاعَةِ ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا فِيهَا مُتَتَابِعِينَ بِالشَّامِ وَغَيْرِهَا ، لَمْ تَخْرُجْ عَنْهُمْ إِلَّا مُدَّةَ دَوْلَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي الْحَرَمَيْنِ وَالْأَهْوَازِ وَبَعْضِ الْبِلَادِ قَرِيبًا مِنْ تِسْعِ سِنِينَ ، لَكِنْ لَمْ تَزُل يَدُهُمْ عَنِ الْإِمْرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ ، بَلْ عَنْ بَعْضِ الْبِلَادِ ، إِلَى أَنِ اسْتَلَبَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ الْخِلَافَةَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ

---

(١) ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٣٦)

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٤)

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٠)

وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ مُدَّتِهِمُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَذَلِكَ أَزْيَدُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، فَإِنَّ الْأَلْفَ شَهْرٍ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَكَأَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ الْفَضْلِ أَسْقَطَ مِنْ مُدَّتِهِمْ أَيَّامَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَعَلَى هَذَا فَتَقَارَبَ مَا قَالَهُ الصحة فِي الْحِسَابِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَعف هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّه سِيقَ لِذَمِّ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَوْ أُرِيدَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِهَذَا السِّيَاقِ؛ فَإِنَّ تَفْضِيلَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَى أَيَّامِهِمْ لَا يَدُلُّ عَلَى ذَم أَيَّامِهِمْ ، فَإِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ شَرِيفَةٌ جِدًّا ، وَالسُّورَةُ الْكَرِيمَةُ إِنَّمَا جَاءَتْ لِمَدْحِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَكَيْفَ تُمدح بِتَفْضِيلِهَا عَلَى أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ الَّتِي هِيَ مَذْمُومَةٌ ، بِمُقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

أَلَم تَرَ أَنَّ السَّيْفَ ينقُصُ قَدْرُه إِذَا قِيل إِنَّ السَّيْفَ أمضَى مِن العَصَا .

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا أنتَ فَضَّلتَ امْرَأً ذَا بَرَاعَة عَلى نَاقص كَانَ المديحُ منَ النَّقص .

ثُمَّ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْ وِلَايَةِ الْأَلْفِ شَهْرٍ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ هِيَ أَيَّامُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَالسُّورَةُ مَكِّيَّةٌ ، فَكَيْفَ يُحَالُ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ هِيَ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهَا لَفْظُ الْآيَةِ وَلَا مَعْنَاهَا؟! وَالْمِنْبَرُ إِنَّمَا صُنِعَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، فَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ هَذَا الْحَدِيثِ وَنَكَارَتِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .أ . هـ [1].

([1]) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٢)

الخاتمـــــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات والرسالات ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واتبع نهجه.

وبعد :

فهذا ما من الله به على من الحديث فى موضوع:() وقد جاء البحث بقدر ما يقتضيه المقام ، ويتسع له المجال ، ولولا أن المقام لا يسمح بالمزيد لكانت الكتابة أوسع من هذا ، ولعلى أكون سددت أو قاربت.

وبعد الفراغ من كتابة هذا البحث خرجت بالنتائج الآتية:

١- أساب النزول باب هام من أبوب علوم القرآن ، ولا غنى عنه لمن يتصدى لتفسير كلام الله – عز وجل – فهو يعين علي فهم الآية وبيان المراد منها ، وله فوق ذلك فوائد عديدة ، وقد أخطأ من قلل من قيمته وجعله مجرد تاريخ.

٢- بيان العناية التى أولاها العلماء لهذا الفن ، وشغفهم به ، هذا الشغف الذى جعلهم يجمعون فيه كل شاردة وواردة.

٣- علم أسباب النزول ، لم تصف مشاربه بل عكر صفوه ما تسلل إليه من روايات موضوعة وأخبار مكذوبة ، تخالف صحيح الدين.

٤- علوم القرآن عامة ، وعلم أسباب النزول خاصة ، رغم ما بذل فيها من جهود ، وما حظيت به من دراسة فما زالت تحتاج إلى إجالة نظر ، وإعمال فكر ، وبذل جهد ، لتنقيتها وغربلتها ، وبيان غثها من سمينها.

٦- ليس بالضرورة أن يكون لكل آية سبب للنزول ، فأكثر آيات القرآن لم يترل بأسباب النزول المصطلح عليه ، والبحث عن سبب لكل آية هو الذى أوقع فى روايات خاطئة ، أنطقت القرآن بما لم ينطق ، وحمل الآيات ما لا تحتمل ، ناهيك عما تعج به هذه المرويات من أخطاء تاريخية ، وغرائب وعجائب ليس لها فى الصحة قدم.

التوصيات

وفى نهاية هذا البحث أقول هذه الواهيات لم يعف عليها الزمن ، ولم تطوها الليالى والأيام ، فما زال من يهتف لها ، ويأخذها على أنها روايات صحيحة أوردها المسلمون فى كتبهم ، يفعل ذلك ليس حباً فى العلم وإنما طعناً فى الإسلام ورسول الإسلام وكتاب الإسلام ، وما أكثر المبتدعة وأعداء الدين ، الذين يظهرون فى كل عصر ومصر ، ولكن بثوب جديد واسم جديد ، وقد أخذت جامعة الأزهر الشريف على عاتقها ، تصحيح الفكر ، ونفض هذا الركام المتمثل فى الروايات الموضوعة ، والفكر المنحرف ، فنشرت الرسائل العلمية ، والأبحاث ، والدوريات ، التى تبين صحيح الدين ، وتنقى كتب التراث الإسلامى عامة والتفسير خاصة من كل دخيل وفكر منحرف ، نأمل ونرجوا من الله تعالى أن يستمر هذا الدور المبارك ، فى الدفاع عن التراث الإسلامى وتنقيته من الأوهام والترهات والواهيات ، وأن تسهم كل الأقطار الإسلامية فى تنقية التراث الإسلامى مما ألم به من واهيات وترهات.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]

المراجـــع

☜القرآن الكريم – جل من أنزله–

☜أحكام القرآن لابن العربي المؤلف : محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) الناشر : دار الكتب العلمية.

☜أسباب نزول القرآن : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان . الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

☜الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل ، بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢

☜أسد الغابة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

☜الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: مكتبة السنة الطبعة: الرابعة .

☜الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

☜الأصول من الكافى – محمد بن يعقوب الكلينى (المتوفى : ٣٢٨-٣٢٩هـ) دار المرتضى بيروت – لبنان الطبعة الأولى : ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

☜الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية .

☜البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

☜البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

☜التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

☜تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ) المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض الطبعة: الأولى ، ١٤١٤هـ

☜تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١٥ هـ

☜تفسير السمعاني = تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن ، الرياض – السعودية.

☜تفسير الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

☜تفسير العياشي – أبي النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندى – مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١١ه ١٩٩١م

☜تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزي الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

☜تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

☜التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى

☜التلخيص في أصول الفقه المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت.

☜تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة المؤلف: نور الدين ، علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن ابن عراق الكناني (المتوفى: ٩٦٣هـ) المحقق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله محمد الصديق الغماري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٣٩٩ هـ

☜تهذيب التهذيب تأليف: أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ

☜توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته المؤلف: رفعت بن فوزي عبد المطلب الناشر: مكتبة الخانجي بمصر الطبعة: الأولى

☜الثقات المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الناشر : دار الفكر الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ تحقيق : السيد شرف الدين أحمد

☜الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: د. محمود الطحان الناشر: مكتبة المعارف - الرياض

☜حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المؤلف: محمد حسين هيكل (المتوفى: ١٣٧٦هـ).

☜دراسات في علوم القرآن الكريم المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

☜دراسات في علوم القرآن المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

☜الدر المنثور الدر المنثور في التفسير بالمأثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت

☜دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز - جدة الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

☜من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل المؤلف: محمد سَعيد رَمضان البوطي الناشر: موسسة الرسالة - بيروت عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

☜سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة: الأولى ، (لمكتبة المعارف)

☜سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة المؤلف : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني شهرته : الألباني دار النشر : دار المعارف البلد : الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

☜سنن الترمذي = الجامع الصحيح سنن الترمذي المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها

☜سنن النسائي – المجتبى من السنن المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

☜السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦ م

☜الشفا بتعريف حقوق المصطفى المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) الناشر: دار الفيحاء – عمان الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ

☜صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣ تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

☜صحيح البخارى = الجامع الصحيح المختصر المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ،

١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا.

☜صحيح مسلم المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

الضعفاء والمتروكون المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الله القاضي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤٠٦

☜ضعيف سنن الترمذي المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض توزيع:المكتب الاسلامي – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م

☜فتح الباري شرح صحيح البخاري – المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)

☜فقه السيرة المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) الناشر: دار القلم – دمشق تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى ، ١٤٢٧ هـ

☜قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان

☜كشف الأسرار شرح أصول البزدوي المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد ، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

☜لباب النقول في أسباب النزول المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

☜لسان الميزان المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى ، ٢٠٠٢ م

☜مباحث في علوم القرآن المؤلف: صبحي الصالح الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠

☜مجمع البيان فى تفسير القرآن – أبى على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى – منشورات دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

☜مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ طبعة دار الفكر ، بيروت ، طبعة ١٤١٢ هـ ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي

☜المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية المؤلف: خالد بن سليمان المزيني الناشر: دار ابن الجوزي ، الدمام – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م)

☜المحلى بالآثار المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

☜المستدرك على الصحيحين المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص

☜المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع

(المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠

☜مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

☜المعجم الأوسط المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين – القاهر

☜المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين) المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العرّاقي (المتوفى: ٨٠٦هـ) الناشر: دار ابن حزم ، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

☜مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

☜المقبول من أسباب النزول ، دكتور: أبو عمر نادى بن محمود حسن الأزهرى الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م مطبعة الأمانة.

☜مقدمة ابن الصلاح – معرفة أنواع علوم الحديث ، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو ، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) المحقق: نور الدين عتر ، الناشر: دار الفكر– سوريا ، دار الفكر المعاصر – بيروت سنة النشر: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

☜مقدمة في أصول التفسير المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

☜منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية / المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

☜الموضوعات المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة: الأولى

☜نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الطبعة الثالثة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

☜نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ) المحقق: عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل - بيروت.

☜الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، الدكتور أحمد محمد صيرة ، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل ، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م